ألفريد هيتشكوك

قصص مرعبة جدا ...

Looloo
www.dvd4arab.com

المرأة الشبح

أعجب بها كل الأعجاب منذ البداية، وظلت صورتها تحتل فكره، وعلى الرغم من أنها لم تكن جميلة ولا صغيرة السن، إلا أنها كانت محوطة بجو من الأسرار والغموض، وهذا هو مفتاح الموضوع كله، فهى تسترعى الانتباه، رغم أنفها.

إنه يراها عند المغيب، ووجهها يستند على النافـــذة، يوماً بعد يوم، وعيناها تتطلعان إلى الخارج، عبر درفات النافذة التى يعلوها الغبار، بنظرة حزينة كئيبة؛ تومت المحامى تنويماً مغناطيسياً. أنها لا تظهر له إلا عند الغسق، ليلة بعد ليلة، وقد شرع ينتظر تلك الساعة سحابة يومه؛ فى انتظار محموم؛ ليتطلع إلى تلك المرأة المجهولة.

إنها فى نفس المكان ونفس النافذة فى الطابق الارضى؛ تجلس إلى نافذتها، دون أن تصنع شيئاً. وهو يتخيل أنها تتطلع إليه. وذات مرة، اعتقد؛ أنه «ضبط» شبـــح ابتسامة ودودة على شفتيها. أن عينيهما تلتقيان دائماً. وفيهما رغبة صامتة فى أن يتعرفا إلى بعضهما. واستمر هذا الغرام البرىء نحو من شهرين.

وأكد جلبرت دينت حقه . . أن ليس هناك فى هذه الحياة شىء

يمكن له أن يظل ثابتا ، وأخذ يشغل دماغه فى إيجاد طريقة محترمة ، يستطيع بها أن يقدم نفسه إلى معبودته .

ولم يكد يصل إلى هذه النتيجة حتى أصيب بصدمة عنيفة . فقد حل ذات مساء ولم تسكن حبيبته تجلس إلى نافذتها كالعادة .

وسار فى الصباح التالى على قدميه ، عبر الشارع ، متجها إلى مكتبه . وكان دائماً يصل بالقطار ، ولكنه آثر اليوم ، أن لا يقضى نهاراً آخر بطوله دون أن يراها . وبدأ فؤاده يخفق بشدة كطالبه مدرسة فى سن المراهقة عندما دنا من بيتها . ليتها تكون على النافذة . وكان ميالا إلى استجماع شجاعته ، وأن يحدثها ، وأن يقولها ، أنها غدت كل شىء بالنسبة إليه فى هذه الحياة ولم يكن يرى فى هذه الطريقة أى شىء مضحك ، فقد تكون متزوجة ، وقد تكون لها عائلة من نوع ما ولكن هذه الأفكار لم تخطر فى باله قط .

ولكنها لم تكن عند نافذتها . واشتد استغرابه عندما رأى مسكوناً غريباً يلف المنزل بأجمعه . إنه أشبه بالتنفس الذى توقف .

وكان الصباح حاراً ، فاليوم من أيام شهر إبريل وظل يرقب النافذة مدة طويلة ، ولكنه لم ير وجهاً يظهر له من وراء الزجاج ، كما لم يسمع صوت اية حركة داخل البيت .

ومضى فى طريقه ، يمشى وكأنه رجل أصيب بضربة شديدة على رأسه ، فرأى النجوم ثابتة لا تتحرك : وغادر مكتبه ذلك المساء مبكراً ،

وقضى أكثر من ساعة وهو يقف عند باب العمارة . لكن النافذة معتمة صامتة . ودفع الباب الخارجى ثم دخل ، ومر فى طريق معشوشبه باتجاه الباب الداخلى . كانت هناك خمس درجات ، وتطلع إلى النافذة بشدة فلم ير شيئاً ، وأحس بشعور من الخوف يمنعه من التطلع إلى داخل الغرفة .

ووجد فى نفسه الشجاعة أخيراً ليتطلع إلى الداخل ، فرأى ، مائدة صغيرة كروية ، قد وضعت إلى جانب النافذة ، وهى مائدة للعمل كما يبدو من مظهرها ، إذ تبدو فيها بعض الجيوب الصغيرة هنا وهناك ، وفى وسطها غطاء صغير من الرصاص ، يخفى تجويفاً ، تضع فيه السيدة التى تعمل هذه المائدة ، ما تشتغل فيه من تطريز يدوى . وتذكر أن والدته كانت تملك مثل هذه المنضدة منذ نيف وثلاثين عاماً .

ورأى يداً رقيقة تمسك بهذه المنضدة وارتفعت أنظار جلبرت دينث ، من اليد الصغيرة ، إلى الذراع النحيل ، فالكتف النحيفة وشاح خشن ، فالى رقبة عارية ارتدت إلى الوراء .

إذن فهذه هى النهاية . لقد جاءت قبل البداية بما هو يراها ، ولكنها ميتة ، وقد التوت رقبتها ، ووجهها يتطلع إلى السقف ، وأصابعها تمسك بيأس قائل طرف المنضدة .

ومضى متعثراً فى مشيته ، عبر الممر ، إلى الحديقة فالباب الخارجى .

ولم يستطع أى يتصور مدة طويلة ، ما فى هذا الحادث من رعب ، وسيطر عليه تأثير غريب لهذا البيت الخرب ، الذى تلفه الأسرار ، ويبدو وكأنه خيال فى خيال . وكان الظلام قد خيم تماماً ، عندما غادر الباب الخارجى ، ومضى متجهاً إلى أقرب مركز للشرطة . فهو واثق من أن هذه المرأة التى أحبها وعشقها عشقاً مبرحاً قبل أن يعرف اسمها ، قد ماتت . وكانت نظرة واحدة منه إلى وجهها تكفى لأن تؤكد له هذا الاعتقاد . ولا ريب فى أنها قد قتلت . وهـــذا ما يثق به أيضا ولكنه لم ير أثرا للدم حولها . ولا على رقبتها الطويلة العارية . ومن ذلك . فان الكلمة الأولى التى دهمت عقله عندما رآها . هى « لقد ماتت » .

وعاد ثانية يصحبه أحد ضباط الشرطة . فافتحما الباب ودلفا إلى الغرفة . كانت فى ظلام دامس ، وأشعل دينت . عوداً من الثقاب . ويده ترتجف . واشتعل العود فأضاء الجدران برهة . قبل أن يسقط من يده على الأرض التى يعلوها الغبار .

وأضاء الشرطى مصباحه . وسلطه باتجاه النافذة . فهو لا يرى سبباً فى التأجيل . وكان تواقاً إلى الوصول إلى كبد الموضوع فوراً . وقد افتقد حماسه المهنى . وهذا الوضع ينذر بجريمة غامضة فيها بعض الإثارة .

سلط الضوء كاملا على النافـــذة . ثم صدرت عنه صيحة غريبة مخنوقة . تجمع بين الغضب والفهم . ثم عاد إلى جيلبرت دينت . الذى

كان يقف فى وسط الغرفة . وقد وضـــع يديه على عينيه وأمسك بكتفه يهزه هزاً عنيفاً . وقال :

ـــ ليس هناك من إنسان !

وتطلع دينت بوحشية إلى النافذة كانت الساحة التى بجانبها خالية من كل شىء إلا من المنضدة . أما المرأة فقد اختفت .

وبحثا فى جميع أنحاء البيت . كما فى الحديقة . كان كل شىء عاديا . يتحدث عن نفس القصة المحزنة قصة بيت مهجور . بل قصة موت . وفراغ منذ سنوات طويلة . ولكنهما لم يعثرا على أية امرأة أو على أى أثر لها .

وقال الشرطى : وهو يتطلع إلى المحامى . وفى عينيه نظرة شك قاتلة : لقد ظل هذا البيت خالياً . منذ أمد طويل . أطول مما أستطيع تذكره . إن الجميع يرفضون العيش فيه . فهم يتحدثون عن لعنة قذرة وقعت فى هذا البيت قبل سنوات عديدة . ولا أدرى ما قصته . وكل ما أعرفه أن صاحبه لا يستطيع التخلى عنه لا بالبيع ولا بالإيجار .

وبالطبع لم يسمع جيلبرت . كلمة واحدة مما قاله الرجل . لقد أذهلته المفاجآت حتى أنه لم يحر جوابا . سوى أن يزحف إلى بيته . بعد أن سمح له الشرطى بذلك وأن يداف إلى داخله بمفتاح يحمله . إنه يخاف من كل شىء . حتى من نفسه . ولم يستطيع النـــوم تلك الليلة .

وسمعت السلطات للغز تلك المرأة ن ينطوى. بأعلى نفسه بصورة وسمية وكل مافعله الشرطة . أنهم هزوا رؤوسهم . وتمتموا ببضع كلمات . فهم واثقون من أن المحامى كان ثملا . وأن المرأة القتيل . فى الغرفة الخالية هى من بنات أفكاره .

وبعد نحو من أسبوع . قام دنيت بزيارة أخيه زيد . وهو قريبة الوحيد : كان زيد طبيباً . وإنساناً واقعياً أكثر من أخيه . فعندما حدثه هذا بقصته مع ذلك البيت وتلك المرأة . عزا الطبيب الأمر إلى بعض الاضطرابات فى الكبد .

وقال له أخوه الأكبر . بعد أن تطلع إلى وجهه الشاحب :

« يبدو أنك قد أضنيت نفسك فى العمل فوق طاقتك . على كل هذه حالة مألوفة . أو لم تسمع بالناس الذين يزعمون رؤيتهم للأشباح ؟ .

— ولكنها كانت امرأة حقيقية . وكنت أحبها وأعشقها . وقد صممت على الزواج منها لو استطعت .

ونظر إليه أخوه نظرة سريعة فاحصة وقال :

— سنذهب إلى برايتون غدا. على أى حال . عليك أن تترك العمل جانباً الآن . فقد انهارت صحتك تماماً . وكان من الواجب أن تلقى بعض العناية الصحية قبل أمد طويل » .

وذهب الأخوان إلى برايتون معاً . وبدا وكأن نيد كان محقاً

فيما قاله وأن امرأة النافذة كانت مخلوقة عصبية : واستمرت هذه الحالة زهاء ثلاثة أسابيع ثم جاءت الذروة .

ورآها جيلبرت للمرة الثانية ؛ عند الغسق . أجل رأى جيلبرت ؛ المرأة التى وجدها قتيلة .

كان الأخوان يسيران معاً ؛ على الصخور ؛ وكانت الريح تعصف فى وجوههما ؛ والبحر يتألق تحت الصخور . وقال زيد إن الوقت قد حان للعودة إلى الفندق ؛ لتناول العشاء ؛ عندما قفز جيلبرت ؛ وقد ندت عنه صيحة ؛ وقفز إلى طرف الممر المنبسط ؛ المغطى بالأعشاب الذى كان يسيران فوقه . وكانت حركته مفاجئة ؛ حتى إن أخاه لو لم يسارع إلى الإمساك به ؛ لسقط عن الصخور واشتبكا فى صراع دام غيران ؛ فجيلبرت واقع تحت سيطرة شعور غامض ؛ يريد أن يقفز عن الصخور الى البحر ؛ ولكن أخاه تمكن أخيرا من جره إلى الخلف ومضيا معاً فى الطريق المنبسط .

وفتح جيلبرت فى هذه اللحظة عينيه ؛ وحاول جاهدا ؛ أن يقف على قدميه . وسأله أخوه ؛ وهو يمد اليه يدا معينة وقد علا وجهه الابتسام ... هل أنت بخير ؟ ان من الغريب ؛ أن البحر يملك مثل هذه السيطرة على بعض الناس ؛ وما كنت أعتقد أنك واحد منهم .

— أى تأثير ؟

— السحر المغناطيسى ياعزيزى ؟

وقال الآخر بحذر ورصانة : اسمع يا نيد ؛ لقد رأيتها ؛ ولا نحاول التشكك فى صحة ما أقوله لك . وكنت ميالا الى الأخذ برأيك ؛ بأن امرأة النافذة لم تكن الا خيالا ؛ وبأنى لم أفسح الا فى غرام مخلوقة من بنات التصور . ولكننى رأيتها الليلة ولا ريب فى أنك قد رأيتها أيضا . لقد كانت على بعد بضعة أقدام منك . فلماذا لم تحاول انقاذها ؟ انك بسماحك لها فى أن تقذف بنفسها من الصخور ؛ قد ارتكبت ما يشبه جريمة القتل . لقد حاولت أن أمسك بها .

— أجل لقد حاولت أن تقتلنا معاً .

ونظر اليه جيلبرت نظرة شرسة .

وتناولا غذاءهما ؛ وأقنعه نيد بأن ينال قسطاً من الراحة ؛ ورآه وهو يمضى فى سبات عميق ؛ ثم خرج من غرفته ومن الفندق .

وقابل عند عودته فى صالة الفندق ؛ خادماً قال له ؛ أن جيلبرت قد ترك الفندق ؛ قبل نحو من ربع ساعة ؛ بعد أن غادره هو . وأدركه خوف شديد ؛ خوف من الأسوأ . وأدرك أن عليه اللحاق به على الفور ؛ دون أن يضيع دقيقة واحدة . لقد عرف أين ذهب ؛ ويجب أن يتبعه ؛ ولكن القطار الثانى لن يقوم قبل ساعة .

وكان الوقت غسقاً عندما وصل الى هناك . لقد كان واثقاً من أن جيلبرت ؛ سيمضى الى ذلك البيت ؛ ومشى الى طرف الشارع ؛ وسار ببطء متفحصاً كل بيت أنه لن يجد صعوبة فى العثور على المنزل الذى

تريد ؛ فقد أسهب جيلبرت فى وصفه له .

ووقف أخيرا أمام البوابة المفتوحة ؛ وامترق النظر إلى البناء المهلهل من داخلها وراء الحديقة . ومشى بضع خطوات نحو الباب الخلفى ؛ فوجده مفتوحا ؛ ودخل إلى ممر حجرى . لقد كان يخشى أن يطل من الباب الرئيسى ؛ مخافة النتيجة ؛ وقاده خوفه هذا الى رعب أشد . وهو أن يرتقى السلالم الحجرية والكثيرة المؤدية الى جناح الخدم . ولكنه تشجع أخيرا . واتجه الى الغرفة .

كانت معتمة مهجورة . وسمع شيئاً يجرى على أرض الغرفة . وأحس بغبار السنين تحت قدميه . وأشعل عودا من الثقاب . كما فعل جيلبرت من قبل . وتطلع أولا الى المكان الذى تقوم فيه النافذة : وقد ظل العود مشتعلا لحظة كانت كافية لإعطائه انطباعاً عما يحيط به ورأى ماردا يخطو هنا وهناك عبر الغرفة المظلمة .

انه لم ير أكثر من هذا فقد أنطفأ العود الذى اشعله وأشعل عودا ثانياً فرأى أخاه . منبطحاً على الأرض . وقد أمسك بيده طرف المنضدة أيضاً . أما اليد الأخرى فكانت منقبضة على صدره . وفى عينيه نظرة حزن شديد .

وأدرك أن أخاه قد مات . وقد انتهى الغرام فقد مات الى جانب النافذة التى كان يرى المرأة التى أحبها تجلس اليها كل مساء مبتسمة اليه .

وانطفأ عود الثقاب الثانى وأشعل الأخ عودا ثالثاً . وتطلع

هذه المرة بأمعان ، وعن مقربة . وهنا ركع على قدميه ؛ وندت عنه صرخة عميقة ؛ دوت الصرخة فى جميع أحـــاء البيت الخالى ؛ وتردد صداها إلى خارجه ؛ عبر الممرات الطويلة .

لقد رأى رأس جيلبرت ، وقد انكفأ إلى الوراء ، وذقنه تتجه إلى السقف ، وعلى رقبته آثار أصابـــع واضحة ؛ لقد رأى الطبيب هذه الآثار بجلاء ، أنها أصابع صغيرة ؛ تشير إلى أن صاحبتها امرأة ..

والشىء الغريب فى جميع القصة ؛ وربما كان أغرب شىء فيها ؛ أن عيناً أخرى لم تر هذه الآثار القاتلة على رقبة أخيه ، وهكذا لم يسجل الحادث على أنه جريمة ؛ ولم يقم رجال الشرطة بالبحث عن القاتل أو الكشف عن أسرار هذه الجريمة ؛ فقد اختفت هذه الآثار ، وعندما رأى الطبيب أخاه ، ثانية فى الضوء الساطـــع ، وبحضور الآخرين ، كانت رقبة أخيه خالية من كل أثر . وقد دل التشريح الطبى على أن الموت كان لأسباب طبيعية .

وهكذا ظل الموضوع دون حل وسيظل إلى الأبد .

فقد هدم المنزل . وقامت مكانه طرق جديدة . حولها منازل بيضاء وحمراء . أما السر الذى تعرفه . فقد ظل دفيناً . لكن نيد دينت يخشى الآن حتى السير فى هذه الطرق الجديدة عند الغسق .

المصيدة

أنا لست عادة من المتشككين . إنما هناك بعض الأشخاص يبعث فى على أن أكون متشككا . ما أن أنظر إليهم حتى أسعر . رغما عنى . بالحذر منهم . وبحكم مهنتى اضطر لزيارة بلدان كثيرة . ولهذا ودون أن أكون أمتدح نفسى . أصبح باستطاعتى القول أنى أقدر على تمييز الناس وإنى توصلت لمعرفة الخسيس منهم من نظرة واحدة فقط . فهذا النوع من الأفراد يتكاثر جدا فى الشرقين الأسيوى والأقصى حيث كنت اضطر دائما للذهاب إلى هناك . فتلك المناطـــق من الكرة الأرضية موبوءة فعلا بهذا الصنف من البشر وهم موجودون على جميع القياسات والعيارات والأشكال والألوان والقامات . وجميعهم من نفس الطينة . لذلك تسهل ملاحظتهم . لأول وهلة على من كانت ظروف حياته تضطره للاسفار والمداخلات والاختلاط بالناس . أنهم يتعاطون نفس المهنة ويطلقون على نشاطاتهم وأعمالهم نفس الأسم — « العملية » هى الأسم الكلاسيكى العام بينهم جميعا . وهذه « العملية » غالبا ما تنتهى بنفس الخاتمة . أما حياة إنسان تزهق وأما حقيبة من المال تختفى . ولا يتطلب الأمر . لتوجيههم نحو الطريدة . سوى الوقت الكافى لأعطائهم التعليمات والمسكافآت اللازمة . عند ذلك تسمعهم توا يهمسون فى أذنك وبطريقة سرية أنهم مستعدون كل الإستعداد لتلبية الطلب وحذف ذلك المسكين فى الليلة نفسها . ولا يمنعهم من القيام معك بنفس العمل سوى قامتك

الفارغة ومنكبيك العريضين ومواعدك المفتولة .

أنك تجد هؤلاء بكثرة فى البارات المنتشرة فى الموانىء على طول الطريق البحرى الممتد من كازابلانكا إلى هونج كونج . والاكثرية منهم لا تخلص لك إلا لفترة معينة من الزمن وضمن عملية محدودة فقط . فقد يحدث أن تكون أنت الآن سيدهم الذى يعطيهم الأوامر ؛ ولكن ما أن تنتهى المدة والعملية المعينة ، حتى يصبح من الممكن جدا أن تكون أنت الهدف والضحية .

إذا استغربت منى هذا التصريح ؛ فهذا يعنى أنك لم تسافر أبدا إلى تلك الأجزاء من العالم وأنك لا تعرف شيئا عنها .

كان توميسون اذن واحدا من هذه الفئة من الناس ، مافى ذلك شك أبدا ؛ وشعرت به منذ أن رأيته .

أنه ينتمى بلونه إلى الجنس الأبيض — أفراد نعثر عليهم هنا وهناك فى تلك المناخات . وهذه العينات تميل دائما الوحدة وغالبا ما تكون رثة الملابس وسخة المظهر . وإذا سألتهم عن المهنة التى يتعاطونها لكسب قوتهم فسرعان ما يقولون لك أنهم يقومون بأعمال « الاستيراد والتصدير » . هذا هو الجواب الوحيد الذى يطالعونك به دائما .

إذن ما أن رأيت توميسون هذا ، حتى شعرت بالشك نحوه . ظروف لقائنا والأدب الكلى والاحترام القسرى الذى أظهر كل

هذا دعانى لأقف موقف الانتباه والحذر .

تعرفت به فى كراتشى وذلك فى أحد المقاهى المواجهة لمسرح الفردوس كنت قد قضيت ، أنا وجسين طيلة بعد الظهر فى التجول فى السوق ، ثم دخلنا إلى تلك المؤسسة لنأخذ بعض المرطبات ولنرتاح قليلا قبل أن نعود الى الفندق .

كان المكان يشبه تماما تلك الأمكنة الكثيرة فى الشرق الأقصى . فهو عبارة عن مستودع الشراب اكثر منه مكانا لصالة عصرية للشراب وما أن جلسنا على طاولة تحت مروحة كبيرة حتى طلبنا زجاجة . ثم فتحت جين حقيبتها وأخرجت منها كل الأشياء التى اشتريتها وقالت .

— انى لم أشبع فضولى بعد ..

— صحيح ؟! ها أنك حزت الآن على المجموعة السياحية الكاملة التى يمكن لسائح أخذها من كراتشى ، معك المشط العاجى « والسارى » وجرس الفيل . كل هذا سيفرحون به فى فلادلفيا بعد أن تعودى .

وصوبت نحوى نظراتها الدافئة وغمزت قليلا بعينها وقالت :

— ما زالت تنقصنى بعض الأحجار الكريمة ياديف . أنا لا أستطيع الذهاب من هنا دون أن تكون معى تلك الأحجار ..

وبما أنى كنت أشعر بتعب مبرح من جراء سيرى معها تلك المدة الطويلة فى السوق قلت لها :

— دعى ذلك للغد ، يجب أن نعود الآن إلى الفندق لنرتاح قليلا .

— غدا ؟! كلا . كلا ياديف . فالوقت يحثرنا . هيا بنا ورافقنى هذه المرة أيضا — أرجوك ؛ كن لطيفا معى — ووضعت يدها فى يدى ثم جعلت من نظراتها أكبر خطاب يمكن أن يؤثر فى قلب الرجل ولقد اختبرت فعل تلك النظرات عندما كانت توجهها إلى والدها فى بعض الأحيان .

كانت جين فتاة جميلة ذات رموش سوداء وقد أضيف تشبة تمامك تلك النجوم السينمائية المتربعة على عرش الفتنة والاغراء فلت لها :

— أن الباخرة لا ترفع مرساتها قبل الساعة الرابعة من يوم غد .

— أعرف ذلك جيدا . ولكن غدا عندى الكثير من العمل أقوم به كتحضير الحوائج وغيرها . أنا متأكدة من أن غدا لن يكون لى الوقت الكافى للتنقل بين المحلات والدكاكين .

— يا جميلتى الحلوة ؛ أسمحى لى أرجوك ، لم يعد باستطاعتى السير على رجلى . أنى أشعر بالتهاب بين أصابعى .

وأرسلت إلى ابتسامة من ابتسامتها . وظننت أنها ستقتنع منى وستتراجع عن طلبها . ولكن ؛ فى هذه اللحظة ؛ ظهر توميسون ودخل مسرح الأحداث . جاء ووقف بجانب جين وبعد أن تنحنح قليلا انحنى باحترام وقدم نفسه لنا .

كان توميسون ضخم الجثة فى وجهه انتفاخ قليل تحت العينين قال :

— أرجو المعذرة . . أنى لا أريد التطفل عليكما لولا سماعى كلمات السيدة الأخيرة ..

ثم جاءت التكملة مسرعة متلاحقة حتى أنه لم يترك لى المجال أبدا للتدخل . إنما كل الذى أذكره الآن هو أنه لم يمض وقت قليل حتى كان توميسون يجلس معنا على الطاولة وأقدم له كأسا من الشراب . وقال لنا وهو يشرب كأسه :

— من المهم جدا فى شراء الأحجار الكريمة أن يعرف الإنسان قيمة تلك الأحجار من النظرة الأولى . أظن أنكما تعلمان ذلك وأنكما خبيران فى هذا الموضوع .

وقالت له جين :

— كلا .. لا أعرف شيئا من هذه الناحية . وهنا تكمن المعضلة.

عيس توميسون بحاجبيه قليلا وبدا عليه أنه يفكر بشىء ما قبل أن يقول لنا :

— فى هذه الحالة أخاف أن يكون الأمر مشكلة بالنسبة لكما . طبعا ، عندما أحذركما من بعض التجار وأقول لكما أنكما قد تقعان ضحية الاحتيال أكون عند ذلك لا أبغى تخويفكما إذ أن هذا هو الواقع فانتما غريبان هنا وبكل أسف أقول لكما أن هؤلاء الشرقيين

.. وهنا أعطى صوته لهجة حزينة ونظر إلى مبتسما وتابع . انك تريد طبعا انتقاء أجود الأصناف . وقلت له توا بعد أن انتهى من كلامه :

— بالنسبة لى كل ما أريده أنا هو أن أغسل رجلى بماء ساخن وفى أسرع وقت .

تقبل تومبسون جوابى بضحكة خفيفة وقال لى قبل أن يلتفت من جديد إلى جين .

— معك حق فهذا الحر لا يحتمل بالنسبة لكما ثم أخذ ينظر إلى كأسه وهو يفكر .

لقد شككت فى جنسيته ولم أستطع تحديدها . أهو انجليزى أم أمريكى يتكلم بلهجة إنجليزية ؟ قالت له جين :

— انك تستطيع دون شك أن تدلنا على مكان أمين نقدر أن نشترى منه ما نحتاج اليه .

— أعرف أحد المحلات القريبة من هنا أنه فى شارع .. ، ولكن أخاف ألا تعرفيه وحدك دون أن يكون معك دليل ، وتنور وجهه بغتة ونظر إلى ساعته ثم قال : انتظرى قليلا . بما أنى أنا ذاهب إلى هناك الآن فبستطاعتى أخذك معى .

— أشكر تلطفك على كل حال . وقلت لها :

— كلا يا جين .

— ولماذا يا ديف ؟

— لانه عيب علينا ازعاج هذا السيد واتعابه فى سبيلنا .

أما تومبسون فقد أجاب بالحاح قائلا :

— أبدا .. أبدا ، هذا لا يزعجنى مطلقا ، بل أشعر بأن خدمتكما واجب على ؛ فنحن الأنكلو — سكسون يجب أن نعاون بعضنا وخصوصا فى الغربة وكان جوابى جافا عندما قلت له :

— كلا .. شكرا لك .

وتدخلت جين قائلة :

— أوه ديف ، أنها مناسبة أخيرة ولنستغلها الآن .

وتابع تومبسون بمهارة وحذافة ؛ وحاولت جهدى الاعتراض والممانعة ، ولم افلح ؛ ذهب تعبى بدون طائل ، لقد بلعت جين الطعم، وفات الأوان ؛ غير انى قلت فى نفسى بأنى لا اعرف الفتاة إلا منذ مدة قصيرة وهى على كل حال ؛ من ذلك النوع الذى ربى وعاش على هواه ؛ ثم وافقت على الذهاب معها فى تلك الرحلة القصيرة ، مهما خسرت جين ؛ فخسارتها لن تتعدى المئة دولار وهو مبلغ لا يؤثر معها مطلقا ؛ ووالدها يدفعه دون ان يرف له جفن ، هذا من ناحية ؛ اما من ناحية ثانية فالأمر لم يعد يعنينى وخصوصا بعد ان قدمت نصيحتى وقمت بواجبى ، واخيرا ستتخذ من عنادها هذا امثولة للمرة القادمة قد لا تنساها ابدا .

بينما كنا نغادر المقهى اعتذر منا تومبسون وتوجه إلى الطرف

الثانى للصالة ليقوم باتصال تليفونى ، أى كنت انتظر منه هذا العمل ، توقفنا قليلا أمام الباب الخارجى حتى عاد وفيما كنا نسير نحو الشارع سألته عن السبب الذى جاء من أجله إلى كراتشى وقال :

— من أجل الأعمال ، أنا اتعاطى الاستيراد والتصدير .

وقلت له :

— هم . .

ثم استأجرنا أحدى التكسيات الآسيوية — تكسيات لا تحتاج للبنزين ولا لمشاكله .. إنما يجرها ان حصان واحد بلحمه وعظمه .

بعد أن جلس توميسون قرب الحـــوذى أعطاه تعليمات باللغة الاوردية — لغة يبدو عليه أنه يتكلمها بطلاقة — وسارت بنا العربة وسط السوق المزدحم .

أراد توميسون أن يرضى فضوله وسألنا بلطفه التقليدى عن سبب زيارتنا لباكستان وأجبته بأنى مصور صحفى يمتهن أراسل بعض المجلات وأعود الآن من سايلان فى طريقى نحو أمريكا .

— إذن لستما زوجا وزوجة ؟

أوه كلا ، أننا لا نعرف بعضنا إلا منذ وقت قليل ، منذ ١٥ يوما فقط لقد تعارفنا على ظهر الباخرة فى طريقنا من كالكوتا ، قالت له حين ذلك وهى تتسلى بشالها الحريرى المتدل على كتفيها .

— هل تسافران وحدكما ؟

— كلا ، يرافقنى أبى وهو الآن فى الفندق يرتاح بعد الظهر : ثم قالت له أيضا أن والدها هو فارس من فرسان التجارة الكبيرة . بعد موت والدتها فى شباط الماضى ألحت عليه القيام برحلة ترفيهية علّه ينسى همومه وأحزانه .

سكت توميسون طيلة المسافة الباقية من الطريق ، بعد أن أرضى فضوله ، وأخذت العربة تصعد متمهلة فى شارع النيل ، ثم دخلت فى جادة عريضة تحوطها الأشجار الباسقة ، كنت حتى الآن لم أزر بعد هذه الناحية من المدينة ، كما وأنى لا أستطيع تعيين ذلك المكان بالضبط ، ففى فترة ما ، مررنا أمام حديقة عامة ثم توجه الحوذى نحو شارع صغير مزدحم بالمارة حيث هاجمتنا جماعة من الصبية وأخذت تدور حـــول العربة كانوا يمدون أيديهم صارخين قائلين : بخشيش . . بخشيش . .

وتوقفت العربة أخيرا أمام دكان صغيرة ، كانت واجهته المعدنية تعلوها الغبار وما أن وضعت رجلى على الأرض حتى تأكدت مشاعرى الأولى التى قلت عنها لجين ، وصعدنا بضع درجات ثم دخلنا إلى المحل واستقبلنا ، فى الداخل ، رجل قصير القامة بلباس أسود يعتمر على رأسه قبعة شبيهة بالقلبق وقال : هالو مسز هالو مستر مبرهنا بذلك أنه يتكلم الانجليزية ، ثم انحنى انحناءة قصيرة وأدخلنا إلى غرفة ثانية وقدمنا توميسون إلى صاحب المحـــل قائلا له أننا نريد شراء بعض الأحجار الكريمة .

وبعد أن جلسنا أمام المكتب جاء الخانوتى وبسط أمامنا كنوزه

الثمينة بينما تومبسون انتحى جانبا وأكتفى بالنظر إلينا والتفرج فقط.

أظن أننا مكثنا فى ذلك المحل مدة نصف ساعة تقريبا ورغم انتباهى الشديد وملاحظاتى الدقيقة لم أقدر أن الاحظ شيئا غير عادى وأظهر لنا الرجل القصير القامه لطفا وصبرا متناهيا ، وتومبسون لم يتدخل أبدا حتى أنه لم يلفظ كلمة واحدة أثناء اتمام الصفقة .

لقد أظهرت جين استياء خفيفا من الاسعار رغم أنى رأيتها معقولة جدا ، وتعجبت لتصرفها هذا ، فقد انتقلت من أحجار الزمرد إلى الالبريز ثم طلبت أخيرا مشاهدة الماس وهنا خفت كثيرا ان تنتقى هذا النوع لأنه عادة هو النوع الاكثر عرضه للغش فمن الصعب جدا تمييز الماس الخالص من المغشوش ، غير ان فى الأخير انتقت زمردة جميلة ودفعت ثمنها ٩٠ روبية هندية ، وبعد ان شكرنا التاجر نهضنا للذهاب .

سألت جين تومبسون قائلة :

— هل تود العودة معنا ؟

— كلا ، شكرا ، إنى ذاهب الآن بالاتجاه المعاكس .

وبعد ان خرج معنا نادى عربة اخرى ركبها وذهب .

كل هذا العمل حيرنى وشوش تفكيرى ؛ إنى لم الاحظ اى شىء غير عادى رغم انى كنت اشم ملء خياشيمى رائحة الغش والخساسة ؛ وأثناء عودتنا طلبت من جين ان تسمح لى بإعادة النظر فى الزمردة ،

واخذتها وتفحصتها بدقة متناهية مقلبا إياها على جميع جوانبها ، كان الحجر يرسل لمعانا لا بأس به ورغم انه من القطع الصغيرة إلا انه كان صافيا صفاء تاما ، وفوق هذا كان منحوتا نحتا فنيا لا بأس به ، واقتنعت كل الإقناع انه يساوى الثمن الذى دفع .. وبعد صمت قصير قلت لجين :

— عدى تقودك مرة ثانية وتحققى من وجودها جيدا .

وبعد ان القت نظرة على حقيبتها قالت :

— كل شىء موجود بالتمام ، ولكن ما الذى يدعك تشعر بهذا الحذر ؟

— فى الحقيقة لا اعرف ، إنما شعرت بشعور داخلى لا افهم معناه أجبرنى على هذا التصرف ، اظن ان لعبة « بلوف » كانت تدار فى ذلك المحل ؛ افهمت ماذا أقصد ؟

— اظن انى فهمت ، وانا شعرت نفس الشعور .

وعندما القيت عليها نظرى رايتها مصفرة بطريقة غريبة .

عدت إلى غرفتى فى الفندق ثم خرجت إلى الشرفة لاتنشق بعض الهواء .

وبعد ثلاث او أربع دقائق سمعت طرقا خفيفا على بابى ثم دخلت جين على اثره وهى تقول :

— ما زال ابى نائماً ولذلك فكرت بالنزول لقطع الوقت معك .

— فكرة عظيمة، أهلا وسهلا .

— لا حول ولا .. لقد شغل بالى ذلك السوق .

وأخذت مقعداً جلست عليه بينما كنت أقدم إليها سيجارة ، كانت جين ترتدى بنطلونا ضيقا يحصر جسمها ويظفر مفاتن الردفين وخلعت بلوزتها التى كانت تلبسها بعد الظهر وبقيت فى قميصها الحريرى المفكوك الذى عزوته منها للحر الشديد . ثم أخذت مقعدا لى وذهبت إلى قرب النافذة وجلست هناك — طبعا كان المنظر هنا أقـــل أثارة لاعصابى ودمى ؛ بعد صمت قصير قالت لى بدون أى مقدمة :

— أننا منذ أسبوعين تقريبا نعيش مع بعضنا ولا نفترق إلا فيما ندر ورغم ذلك أراك دوما تبتعد عنى !

— هل يجب أن أذكرك بأنى رجل فاضل متزوج ؟ وأن لى فى البيت امرأة وأطفالا ينتظرونى أيتها الآنسة الحلوة ؟

ووجهت إلى نظرة ثقيلة ملأى بالعقاب وهى تمض على شفتها السفلى وقالت :

— لم أقل أبدا أنى أسمح لك بشىء ، ولكن زهدك وعدم محاولتك يجعلنى افكر بأنى لست على قدر المقام ..

فى رأيى — وأقول لك بصراحة . أن وهج الشمس وحرارتها هى التى تؤثر عليك . المناخ .. نعم .

وانفجرت ضاحكة، ثم قامت وهى تقول :

قد يكون معك حق، هل تسمح لى بالدخول إلى الحمـــام لا تبرد قليلا ؟ انى أشعر بحاجة لذلك منذ أن خرجنا من ذلك المحل ، أتمنى لو أنى لم أدخله أبدا .

وعندما عادت إلى الغرفة لاحظت أن قميصها كان مزررا حتى العنق وارتحت لهذا الأمر ؛ سألتها قائلا :

— هل سنجتمع هذا المساء فى المطعم ؟

— انتظرنا فى الصالة الساعة السادسة . . هـــذا إذا توصلت لإيقاف بابا .

وبعد ذهاب جين أخذت حماما باردا وحلقت ذقنى وذهبت إلى الصالة وانتظرت الوالد والفتاة ، وأخذت أتساءل بينى وبين نفسى عن تومبسون ولم أستطع إيجاد أى جواب مقنع بخصوصه لأننى لم أتوصل إلى ملاحظة أى شىء غير عادى يتصرفه معنا ، فالزمردة التى اشترتها الفتاة كانت تساوى قيمتها كما أن المال الذى كان بحوزتها بقى كما هو ولم ينقص منه شىء ماعدا القيمة التى دفعتها ثمنا للحجر الكريم وكذلك تومبسون اللطيف الحديم ذهب دون أن يلمـــح ولو تلميحا بسيطا لأى « بخشيش » ، أو بدل أتعاب ؛ فعلا كانت مسألة فيها نظر كما يقولون ، وخصوصا عندما يكون الأمر مع تومبسون ، إذن أين يمكن الطمع ؟ وأين هو الجواب ؟ وأخذت سيجارة وأنا اعتر هذه الأفكار وأحاول إيجاد الأجوبة ، وسرعان ما لاحظت فجأة أن

وقت الموعد قد فات ومضى عليه ربع ساعة دون أن يأتى أحد لا الفتاة ولا والدها وأخذت أتذكر كلمات الفتاة ، لقد قالت لى بالحرف الواحد ، اننا سنجدك فى البار فى الساعة السادسة ، وقررت فى نفسى الانتظار بضع دقائق أخرى قبل أن اعود إلى غرفتى لاتصل بهما تليفونيا ، وتضاعف قلقى عليهما وهرعت إلى السلم وصعدته مسرعا وأنا افكر بتومبسون .

ما ان وصلت إلى الطابق الثانى واستلمت الرواق المؤدى إلى غرفتى حتى لاحظت وجود شىء غير عادى هناك ، كانت غرفتى منارة وبابها مفتوح مصراعيه ، وعندما وصلت إلى العتبة ، اول شىء اثار انتباهى هو حقيبتى المفتوحة الموضوعة على السرير وبقربها آلة التصوير وكذلك الوسادات والأغطية منزوعة من مكانها وملقاه على الأرض ، كما وان كل ادراج الخزانة الخاصة كانت مفتوحة ومفتشه ومتروكه على حالها ثم فى غرفة الحمام كان يقف رجل قصير القامة اسود الملابس يدير ظهره — انه صاحب المحل التجارى الذى كنا عنده بعد الظهر ، التفت إلى من فوق كتفه وفى يده مسدس صغير كان يصوبه نحوى .

ما ان استدار ليتجه صوبى حتى كنت بخفة الهر قد اختفيت وراء باب الحمام وبقفزات سريعة متلاحقة وصلت إلى الرواق الخارجى غير انى اصطدمت فجأة بأحد الفصول وحاول امساكى من وسطى ليرفعنى عن الأرض ويحركه سريعة استطعت التخلص منه ولكننى من ذراعى ثم اخذ معصى ولفه لفة عنيفة اضطررت للتراجع على اثرها إلى الوراء نحوه وبما ان قبضتى اليسرى كانت ما تزال حرة ارسلت له لكمة

قوية على سحنته اضطر بعدها ان يتركنى ليغطى وجهه بيديه وانطلقت بكل سرعتى ، وما ان ابتعدت عنه بضع خطوات حتى كنت اقف امام غوريللا هذه المرة ، كان يرتدى ثوبا من الكاكى ويترك لحية خفيفة ولم احتمل منه غير ضربة واحدة سقطت بعدها على الأرض واخذت الدنيا تدور حولى كعجلة سريعة ثم لم البث ان غرقت فى ظلمة دامسة .

عندما عدت إلى رشدى وجدت نفسى ممددا على سريرى احدق فى « الناموسية » وينحنى فوقى الرجل القصير القامة ذو اللباس الأسود ومعه منديل مبلل وقال :

— اننا آسفون لهذا الحادث .

— وكذلك انا .

ثم ذهب إلى آخر الغرفة وعاد ومعه جواز سفرى وقال :

— لقد حققنا فى هويتك وتأكدنا من خطئنا ، لست انت الشخص المقصود .

— طبعا انكم مخطئون ولكن مخطئون ولكن أى نوع من الخطأ ؟ .

— كنا نظن انك على اتفاق مع الفتاة ، اما الآن فقد تحققنا من كل شىء .

— من ؟ حين ؟ واين هى ؟

— لقد أوقفناهما معا .

— من ؟ جين ووالدها ؟ ولماذا ؟

— بسبب سرقة بعض الأحجار الكريمة التى تقدر قيمتها بعشرة آلاف من الدولارات ؛ ثم أخرج من جيبه مغلفا من الورق السميك وأفرغ منه عدة أحجار ثمينة بينها الزمرد والعقيق وغيره وتابع : أن هذه الأحجار وجدت فى غرفة حمامك ، لقد اعترفت الفتاة أنها بعد خروجها من المحل التجارى شعرت ببعض الخوف لذلك جاءت اليك وخبأت هذه الأحجار عندك حتى تبعد عنها كل شبهة .

وقلت له مهوتا :

— أسمع ؛ أنى لم أستطع حتى الآن فهم دورك فى القضية ، هل أنت أحد ضباط البوليس ؟

— هذه هى الحقيقة بعينها يا عزيزى لقد نبهتنا سلطات بومباوى بأن نراقب هذين المشبوهين ؛ وما أن وصلا إلى كراتشى حتى نصبنا لهما فخا محكما ؛ فقد كان هذان اللصان يستعملان طريقتهما منذ أمد بعيد فى كل مرة يمران فيها فى هذه المرافىء من هونغ — كونغ طريقتهما؟ وكيف هى ؟

— كانت الفتاة تحمل معها مجموعة لا بأس بها من الأحجار المزيفة من جميع القياسات والأحجام والأصناف ، وما أن تدخل إلى المحلات حتى تتظاهر بأنها تريد شراء بعض التحف وتهرع التاجر وتبسط أمامها أحجاره وبخفة ورشاقة وحذاقة تبدل بعض ما معها من أحجار

مزيفة بأخرى صحيحة مشابهة لها تماماً . فهمت الآن ؟

— نعم فهمت .. ووالدها ؟

— أخاف كثيرا أن لا يكون والدها ا عزيزى .

وبعد صمت قصير خيم علينا جميعا سألت البوليس بعدها :

— وتومبسون — كان الستارة التى تحمل الطعم ؟ أليس كذلك؟

— نعم ؟ ماذا تقول ؟

— تومبسون ما غيره . تومبسون ما غـــيره . تومبسون الذى قادنا إلى المحل .

— آه نعم تومبسون .. وبعد أن ابتسم قليلا تابع لقد خدمنا عدة مناسبات كهذه .

— يعنى أنه لا ينتمى إلى البوليس ؟

— أبدا ، إنما هو .. بماذا أسميه أن تومبسون مستعد للقيام باية خدمة لقاء بعض المال فقط .

— يعنى من أولئك الذين يعملون فى مجال « التصدير والإستيراد » ، ها ؟ لقد عرفته منذ اللحظة الأولى ؛ أن هذا النوع من البشر لا يمكن أن يخفى على أبدا ، هكذا كنت أقول بينى وبين نفسى .

كلارا

استقبلت كلارا دى فورست قرينة جايسن ج . دى فورست ؛ الأب المحترم السيد كينيت كولينغ الذى بدأ بسحنة امتزجت فيها الجدية بالتقى وكان إذا تكلم قطع كلامه بفترات من الصمت المحترم وبصوت وئيد كما ينبغى له أن يكون فى بيت خيمت عليه المأساة . ثم أن الموقف كان حساسا ودقيقا ، والحقيقة أن السيد المحترم كولينغ لم يكن واثقا من أن زيارته فى مثل هذه الظروف منسجمة مع التقاليد، وحسب معلوماته لا توجد تعليمات معينة تتناول السلوك فى مثل هذه المناسبات ، ولكنه كان قد أظهر عواطفه لسيدة من رعيته ذات مكانه مرموقة مثل السيده دى فورست ، هذا هو الدافع الذى دفع به إلى الحضور الآن حيث جلس وكاس من الشاى على ركبته وطبق فيه جاتو بيده .

وكانت تلك هى الساعة التى يستعد فيها قواه عادة بكاس وأحس باسف فى أعماقه لأنه لم يكن الآن فى بيته حيث يتاح له التمتع بمثل هذه الكاس ؛ وهو لم يكن يشك أبدا فى أن كلارا دى فورست وهى التى تحمل كاسا من الشاى بيدها وتقضم بعض البسكويت ؛ تفضل على ذلك كاسا أو كأسين من الشراب ولكانت تقدم الشراب إليه بكل طيبة

خاطر ؛ وكان واضحا أن الأمور لم تكن قد عادت إلى مجاريها بين هذين الشخصين المختلفين فى المشاب فى أعقاب بعض سوء التفاهم الذى أصاب علاقاتهما .

والحقيقة أن ألم كلارا دى فورست كان نسبيا جدا ؛ صحيح أنها فقدت قبل قليل زوجها جيسون ولكن هذا الزوج اختفى بمحض إرادته عندما ركب طائرة « جيت » متوجهة إلى المكسيك وليس بين ذراعى الملائكة ليحملوه الى الجنه ؛ هذا على ما يتناقله الناس ، ويقولون أيضا أنه كان قد سحب كل رصيده ورصيد كلارا من صندوق البنك كما استولى على أثمن قطع من مصاغها الذى كان مودعا فى خاص ثم ركب الطائرة بصحبة بنت شقراء بلاتينية الشعر .

كلارا لم تنف هذه الشائعات ، كما أنها لم تؤكدها أيضا ؛ كل مافعلته أن أوحت بموقفها التقى الوقـــور ، أنها قد سامحت زوجها المرتاح وتناست أخطاءه مهما تكن هذه الأخطاء ضخمة ؛ وكان زواجها بجيسون الذى يصغرها عشرين عاما قد أفضى إلى فشل محقق منذ مدة طويلة وانتهى كل شىء بينهما ؛ وهكذا لم تعش لما حصل له ؛ وهذا ما جعل السيد المحترم كولينغ يرتاح جدا لرؤيتها تواجـــه الكارثة بوقار وهدوء .

قال :

— أرى لزاما على ياسيدة دى فورست أن أشير إلى أن سحنتك

تبدو مشرقة تماما .

صحتى على خير ما يرام ، شكرا .

ـــ ألست بحاجة إلى أى شىء . ألا أستطيع أن أقدم اليك أى عـــون ؟

ـــ كرمك أثر فى ، ولكنى أركد لك أنى على أحسن حال .

شجاعتك تستحق الاعجاب أما النفوس الضعيفة فسرعان ما تتهاوى فى وهدة الدموع والذكريات المؤسية .

ـــ أوه . أما أنا فلا . الحقيقة انى لا أحس بأى أسف ، لقد ذهب جيسون وهذا أفضل كثيرا .

ـــ ألا تحسين بشىء من الحقد أو الغضب ؟ الأمر يكون مفهوما فى مثل موقفك .

وتطلع الأب المحترم بأمل كبير الى كلارا ؛ وكان يسعده أن يصلى لكى يستعيد قلب بنت رعيته النقاء ، فمثل هذا الأمر يعطيه الشعور بانه قام بعمل مفيد ؛ ولكن قلب كلارا لم يكن على ما يظهر بحاجة الى أى تطهير .

وأجابت فعلا :

ـــ أبدا لم يكن جيسون فى الحقيقة سوى شاب طائش لا أخلاق له ، ولكنه لم يخل من اللطف والأفضل لى أن أكون شاكرة له على أى شىء آخر . لقد وهبنى ثلاث سنوات رائعة فى السن التى قلما يتاح للمرء فيها أن يتذوق السعادة .

وارتسمت طبيعة سعادة كلارا بغموض فى ذهن الكاهن ، فحاول طرد هذه الأفكار التى لا تليق بامرأة فى الخمسين ولا بأى امرأة أخرى مهما يكن لها من حسن وجمال . ومع ذلك فلا يلام لأنه لاحظ أن كلارا ماتزال تملك ساقا عيلاء حسنة الانسكاب .

وتمتم بلهجة فيها من عدم الدقة كما فى أفكاره :

ـــ ثمة تعويض غير متوقع .

ـــ ولكنى كنت دائما أعنى هذا التعويض وقد نلته . ولولا ذلك لما كنت أقدمت أبدا على الاقتران بجيسون . كان فقيرا ولم يكن على شىء من الحياء والذكاء .

ثم أنه بدأ على وقاحة لا مثيل لها عندما حاول قتلى .

وسأل الرجل بصوت فقد كل ضابط من شدة الرعب :

ـــ كيف ؟ هل حاول المساس بحياتك ؟

ـــ مرتين على ما أعتقد ، المرة الأولى بواسطة شىء دسه فى كأس حليب ساخنة حمله إلى فى سريرى ؛ والمرة الثانية بالشىء نفسه ولكن فى الدواء الذى أتناوله ، وهكذا ترى أنه استخدم الوسيلة نفسها لأن جيسون كجميع الرجال الذين لا شخصية لهم كان يفتقر إلى الخيال .

ـــ لا بد أنك قد أخطرت البوليس نهائيا المحاولتين ؟

ـــ مطلقا ؛ ماذا كان يمكن أن تكون الجدوى من ذلك ؟ ما كان مثل هذا الأمر إلا ليفسد علاقتنا التى كانت ، فى نظرى ، أكثر من مرضية .

وأحس السكامن كما لو كان يجرى محاكمة فحاول كبح جماح تأثره :

ـــ لم تتكلمى إذن ؟

ـــ أوه ، بلى .

ـــ ولاحت إبتسامة حانية على شفتى كلارا عندما تذكرت الذى فعلته :

ـــ شرحت له بكل إبساطة أنى دبرت الأمر بحيث لا يرث شيئا من مالى بعد موتى ؛ ولما أدرك أنه لن يفيد أى شىء من موتى لم يعد يجد أى نفع فى التعجيل بذهابى عن هذه الحياة . بل الأفضل له أن إينتظر ذلك مهما طال به الانتظار ؛ كان أشبه بالطفل ؛ فقد ارتبك كثيرا للمفاجأة .

ـــ أما أنا فلا بد وصفا له إلا أنه وحش .

وفقد الرجل للحظة كل سيطرة على أعصابه وراح يلوح بيديه تعبيرا عن غضبته :

وغلفت البسمة الحانية غلالة من قرارة وقالت :

ـــ هل تعتقد ؟ كلا ، صحيح أن خطتى سلبته كل رغبة فى القضاء على : ولكن فى الوقت نفسه نفت كل ضرورة لبقائه معى ، ومع ذلك فلا أحس بأى أسف كما قلت لك ، ولا أى غضب ، صحيح أنى سوف أفتقد جيسون ، ثم أنى أنوى الاحتفـــاظ بشىء منه فى المنزل لكى لا تفارقنى صورته ، أنت تعرف أن المرء عندما يهرم تضعف ذاكرته وعندئذ يكون بحاجة إلى شىء ما ليذكرة بالماضى .

ـــ هو لم يذهب إلا قبل أسبوع ، وربما عاد فيما بعد .

ـــ لا أعتقد .

وهزت كلارا رأسها بهدوء وتابعت :

ـــ لقد ترك رسالة يقول فيها أنه ذهب إلى الأبد .

أضف إلى ذلك أنه يعتقد ، فى مثل هذه الأحوال ، أن عودته لن الاستقبال المناسب ، وفى لحظة غضب اتلفت الرسالة ، ثم ندمت على بادرتى ؛ كان ينبغى لى أن أحتفظ بها لأعيد قراءتها مرة بعد أخرى ، وكانت تلك تكون وسيلة مدهشة لأحياء ذكراه .

ـــ أنت امرأة مدهشة ياسيدة دى فورست ؛ أنى شديد التأثر من كبر قلبك وعلو همتك .

ـــ أو ليس كبر القلب وعلو الهمة فضيلتين مستحبتين أساستين ؟

ـــ فى الواقع ، الايمان ، والأمل وكبر القلب و ..

وتوقف الرجل عن أكمال عبارته لا لأن الكلمات قد نقصته بل لأن رنين الجرس القوى الأمر قطع له مجرى أفكاره ؛ وكانت كلارا دى فورست قد نهضت حالا .

وقالت قبل أن تغادر الغرفة :

ـــ أعذرنى .

وانتهى إلى أذنيه صوتها وهى تكلم أحدا ما على عتبة الباب للحظة ، وكان قد أحس ببعض الضيق من موقفها الغريب حيال شخص لا ذمام

له ولا أخلاق بل أنه أصبح ميالا الى الإعتقاد بأنها تبالغ كثيرا فى تطبيق هذه القواعد الاخلاقية ، أنه من الممكن تماما لكل إنسان أن يبدى الكثير من الطيبة والتسامح ؛ ولحظ أنه بدأ يشط عن المنطق فسوى جلسته وراح يبحث عن أفكار أخرى يشغل بها ذهنه ؛ ووقع نظره على زهرية موضوعة فوق الموقد ذكرته بقصيدة للشاعر كيش . ووجد أن القصيدة جديرة بتفكيره فراح يحاول استعادة بعض مقاطعها فى ذاكرته فلم يتمكن إلا من ترديد بيت واحد يقول أن الشىء الجميل هو منبع دائم للفرح الخالد .

ورجعت كلارا دى فورست إلى الحجرة ، كانت تحمل صرة ملفوفة بورقة ومحزومة بخيط ؛ ووضعتها على الطاولة وعادة تجلس فى مقعدها .

وقالت :

— أنه موزع البريد ؛ هل ترغب فى كأس أخرى من الشاى ؟

— كلا . شكرا . لقد فرغت . كنت منصرفا إلى تامل هذه الزهرية التى على الموقد ؛ أنها قطعة جذابة .

— أجل . ألا ترى ذلك ؟

والتفتت كلارا بعينين شاردتين لتتامل الزهرية وقالت :

— أهدانيها شقيقى كاسبر عندما جاء لزيارتى فى الاسبوع الماضى .

— سمعت فعلا أنه جاء . ولا بد أن وجود هذا الشخص العزيز قد حمل اليك العزاء فى هذه الساعات الصعبة .

— صحيح . وقد أسرع كاسبر بالمجىء عندما حدثته بالتليفون وأخبرته أن جيسون قد غادرنى . ولكن ما كان ينبغى له حقا أن يزعج نفسه . فأنا لم أعتبر أبدا أن هذه الساعات صعبة . وأحسب أنه شاء أن يتأكد من ذلك بنفسه ، وفى اليوم التالى قفل راجعا إلى بيته .

— لم يسعدنى أبدا التشرف على أخيك . هل هل يقيم بعيدا عنا ؟

— على بعد حوالى ٣٠٠ كيلو متر هو يعيش فى منطقة سياحية ، وعمله صنع مثل الزهريات التى لاقت اعجابك .

— حقا ؟ هذا شىء مثير فعلا .

— الواقع أن هذا فن وليس مهنة غير أن كاسبر طوره بحيث صار سبيلة إلى كسب العيش . بدأ أول أمره ، قبل عدة سنوات ، فى كوخ صغير أن اتقانه لعمله جعل الطلب عليه يزداد فاضطر إلى توسيع نطاق هذا العمل . وهو اليوم يقوم على تزويد جميع مخازن المدن المجاورة والبعيدة على حد سواء .

— لابد أنه شديد الانشغال .

— فى الرافع . وهذا ما جعله يعود بسرعة فى الأسبوع الماضى لتلبية طلبية عاجلة . وهو يصر على صنع جميع الزهريات التى يبيعها بيده .

صحيح أن هذا يخفف من كمية انتاجه ولكنه يعطى لكل قطعة أهمية فنية خاصة .

— أن معرفتى بهذه الأمور ضئيلة جدا وعلى أن أقرأ بعض الكتب لازداد معرفة بها .

— أنا واثقة من أنك سوف تهتم بالأمر كل الاهتمام . خذ مثلا : جميع القطع ينبغى لها أن تدخل فى فرن عالى الحرارة . هل عندك عندك بكرة عن الحرارة اللازمة لشىء البسكويت ؟

البسكويت ؟

— هكذا يسمون الأوانى الفخارية عندما تخرج من الفرن وقبل صقلها وتلميعها .

— آه . على أن أعترف أنى لا أحمل أى فكرة عن كل ذلك .

— متوسط الحرارة يجب أن يكون ١٢٧٠ درجة .

— يا الهى !

— ستتعود بالطبع .

— يا إله السماء !

وخلصت كلارا إلى القول بابتسامة كلها دهاء :

— وهكذا ، كما ترى ، فقد تعرض هذا الأناء الجميل لمعاملة سيئة للغاية . أو لا تعتقد بعد ذلك أن النتيجة تستحق ذلك العناء ؟ أنه أضيق من أن يتسع المزهور توضع فيه ولكن لا أهمية لذلك . سأحتفظ به لشىء خاص جدا .

ورافقت السيد كولينغ حتى العتبة .

— أنا سعيدة جدا لأنك جئت وزرتنى .

وظلت تنظر إليه حتى ركب سيارته الواقفة على محاذات الرصيف ثم أغلقت الباب وعادت إلى الصالون .

وأسرعت فتناولت الصرة التى كانت على الطاولة . الحقيقة أن كاسبر يبدو شديد العصبية . جميل أن يكون المرء مقتصداً ولكن شقيقها العزيز يبدو على درجة كبيرة من الشح . فالصرة لم تكن تستحق سيئة التوضيب والربط بالخيط بل أنه أرسلها بالبريد العادى ليوفر عدة قروش . . من المعروف أن موظفى البريد لا يفتحون الصرر إلا نادرا للتأكد من محتوياتها ولكن لنفرض أن ذلك حدث هذه المرة ؟ فعلى الأقل بسبب الأمر ازعاجا شديدا . .

وجاءت بالاناء الجميل من فوق الموقد ووضعته بجانب الصرة ، وحل توتر أعصابها مكان الرقة التى كانت بادية عليها ، ولم تشعر أنها وحيدة . وفتحت الصرة وراحت تصب محتوياتها بعناية فى الاناء .

فلنشر فلورا

فكرة غنية

الكيس البنى اللون الملقى عند قدمى أيقظ اهتمام السيد نيبر مديرنا . غادر مكانه واقترب بلا مبالاة من شباكى وسأل :

ـــ ماذا يوجد فى هذا الكيس يا فريد ؟ غداؤك ؟

فأجبت :

ـــ كلا يا سيدى . فيه عشرون ألف دولار نقدا . وهى ملكى؛ وقال بلهجة فاهمة :

ـــ لعلك تريد انفاق هذا المال فى عطلة صغيرة ؟

ـــ كلا يا سيدى .

وعاد إلى مكتبه ليوقع شيكا لأحد الزبائن .

وحانت ساعة الراحة لمدة عشر دقائق فاغلت شباكى وحملت كيسى بيدى وتوجهت نحو جهاز توزيع الماء المثلج .

كان جيم مهريل يتصفح جريدة له . قال :

ـــ أرى أن راندال قد وجد حيا .

ـــ راندال ؟

ـــ أمورى راندال ذلك الذى أختطفوه قبل خمسة أيام .

وبحث عن الصفحة الوسطى وتابع :

ـــ يدعى راندال أن الشخص الذى اختطفه كان يعمل وحيدا فى كل حال لم ير غيره ، وكان مقنعا أيضا ، الشىء الوحيد الذى لاحظه راندال هو أنه كان يزين أصبعه بخاتم كبير أحمر ؛ أما أنا فسأقول لك شيئاً مهما : هذا الخاطف ليس فى الحقيقة على شىء من القوة !

ـــ ما الذى يجعلك تقول هذا ؟

ـــ لأنه لم يطلب سوى عشرين ألف دولار ؛ كان يمكنه أن يحصل على مائة ألف بسهولة ؛ راندال ملىء للغاية .

وعاد جيم يقرأ بصوت عال :

ـــ وما أن تلقت زوجة راندال طلب الفدية حتى أخطرت البوليس .

ـــ وأحسب أنهم نصبو فخا للخاطف ؟

ـــ هذا لم يأتوا على ذكر له فى الجريدة ، واعتقد أنهم قرروا اتباع تعليماته ، ثم أنهم متمسكون باعادة راندال حيا ، وفى جميع الأحوال سوف يتوصلون إلى ذلك .

ـــ لماذا .

لقد وضعوا اشارات على النقدية ، أو ربما سجل البوليس أرقام تلك الرقاع .

— هل هذا مكتوب فى الجريدة .

— كلا ، ولكن تلك هى الطريقة التى يتبعها البوليس دائما .

— كنت قد فرغت من شرب كأس الماء وكان كيسى ما يزال يبدى فتوجهت إلى غرفة الخزائن فى القبو ، وفى أسفل السلم سيكارتى قبل أن أفتح الباب .

كان دور باركر فى الحراسة ؛ حياتى بيده .

وأومأت برأسى بينما أدرت صنبى فى القاعة ، كان المبلغ الذى نرسله إلى فرعنا فى ايفا نسفيل أسبوعيا مكوما على المائدة ، مائة الف دولار .

كان باركر زميلا لى فى فريق البولينج منذ ثمانى سنوات ، وتردد لحظة ثم قال لى مازحا :

— أخدم نفسك يا صاحبى .

دخلت وأنا اتلفت حوالى ، وعندئذ سألت :

— ألا تشعر برائحة احتراق .

شم باركر بقوة وقال بلهجة شابها القلق :

— بلى .

— اعتقد أنه يشك فى أن تكون النقوه مؤشرة .

فقلت .

— على الأغلب .

— ربما كان فى نيته بيع السلع إلى أحد المهربين بنصف سعره .

— ولكن لا بد أنه من العسير جدا العثور على شخص يرضى بذلك .

وعاد السيد نيبر يستند إلى شباكى ، ومرة أخرى راح يتطلع إلى كيسى .

— عشرون ألف دولار .. تقول ؟

— أجل يا سيدى .

— وتتجول بها فى يدك ؟ الأفقة لك فى البنوك .

— بلى ياسيدى ، ولكنى اتيح لنفسى فرصة البلذة بالنظر إليها لفترة ما .

وتطلع إلى الكيس مرة أخرى وقال :

هذا هو توفيرك القليل !

— جزئيا يا سيدى ، وقد أصابنى بعض الحظ فى البورصة .

واعتصب ضحكة وقال :

— لنفترض أن هذا هو الواقع يا فريد .

— بل هو بعينه يا سيدى .

وانحنيت لأفتح الكيس .

ونظر بداخله وهو يحك وجهه وقال :

— أنها مغلفة جيدا هذه الرزم الصغيرة .

— أجلا يا سيدى .

وأغلقت كيسى .

ابتعد ولكن رأيته يتوجه إلى غرفة الخزائن .

وكان جيم قد سمع كل شىء ورأى كل ماحدث فسألنى :

— ما هذا بالضبط ؟ مزحة أم ماذا ؟

فاحتججت :

— كلا ، ليست مزحة ،

واستمر يراقبنى خلسة خلال الدقائق العشر التى تلت . ويبدو أن الضماد الأبيض الذى كان يلف أصبعى قدر أثاره . وكان يلف أصبعى قد أثاره ، وكان هذا الضماد فى المكان الذى أضع فيه خاتمى عادة .

وصعد السيد نيبر من القبو وخاطبنى قائلا :

— فريد .. ممنوع منعا جازما أن تدخل غرفة الخزائن ؛ وأنت تعرف هذا حق المعرفة .

— أعذرنى يا سيدى . كانت محض حشرية منى لم أفكر فى الأمر .

وتنحنح وقال :

هل وقع حادث ما فى أثناء وجودك تحت ؟ هل تغيب بارکر لمدة ثوان ؟

— أجل يا سيدى ، يبدو أن بعضهم قد القى عقب سيجارة مشتعلة فى سلة المهملات ، لم يحدث أى ضرر .

ومضى السيد نيبر إلى مكتبه وقد لاحت على وجهه امارات التفكير العميق .

وفى الحادية عشرة توقفت الشاحنة المصفحة أمام البنك ودخل ثلاثة حراس ، ورافقهم السيد نيبر إلى القبو ثم صعد بعد خمس دقائق مع المال .

وتطلع السيد نيبر إلى ، ثم إلى الكيس وبدا كأن فكرة قد طرأت له بغتة ، وقال للحراس .

— انتظروا ، ضعوا المال على هذه الطاولة ، أريد أن اتأكد من أنه غير ناقص .

وهز أحد الحراس كتفيه وقال :

— إذا كانت هذه رغبتك ، ولكن سبق واحصيته .

— لقد أحصيت الرزم ولكن كيف تستوثق من أن ما فى داخلها داخلها صحيح ؟ افتحها جميعا .

قال بلهجة الأمر .

وبعد عشر دقائق كان يحتف غرق جينه بضربات متلاحقة من حنديله ، وقال :

— المبلغ كامل .

ونظر إلى وسألنى :

— أوه مازلت تحتفظ بالعشرين ألف دولار فى كيسك هذا ؟

— أجل ياسيدى .

كان جسم ميريل قد راقب العملية كما فعل جميع الموظفين فلم يلبث أن نهض وجذب السيد نيبر ناحية وراح يهمس كلاما فى ذانه .

واتسعت حدقتا السيد نيبر .

وقال أحد الحراس وقد نفذ صبره :

— قولوا لنا ، هل بوسعنا نقل المبلغ إلى الشاحنة الآن ؟

وأجاب السيد نيبر :

— كلا . ليس بعد .

ومشى إلى التليفون وشكل رقما .

وبعد أن أعاد السماعة ظل جالسا وقد ظهر جليا أنه يترقب شيئا سوف يحدث .

وبعد عدة دقائق سمعت جينو صفارة سيارة البوليس ، باهرت باغلاق شباكى وتناولت كيسى ونهضت قائلا :

— الحقيقة أنى أشعر بتعب غير عادى . أعتذر . ولكنى أعتقد أنه خير لى إذا ذهبت إلى منزلى وارتحت هناك . .

وهب السيد نيبر واقفا وصاح :

— أيها الحراس أقبضوا على هذا الرجل !

وهجموا على .

وبعد لحظة كانت سيارة البوليس تفرغ حمولتها فى المكان وسرعان ماوضعوا الإصفاد فى يدى .

وأغمضت عينى وتركت نفسى انزلق على الأرض .

ورشنى بعضهم بكأس من الماء البارد فامشنى ووقفت على قدمى .

واقترب منى السيد نيبر وجيم جيريل والذى يبدو أنه رئيس جماعة البوليس بعد أن كانوا قد عقدوا مؤتمرا فيما بينهم بعيدا عنى .

وقال مفتش البوليس وهو ينظر بثبات فى عينى :

— تقول أنه جاء بنقود الفدية إلى هنا ؟ وأنها ربما كانت فى هذا الكيس ؟

ورد السيد نيبر :

— تماما أيها الملازم ومن المؤكد أنه إذا كان قد تمكن من ابدال المبلغ — وهذا ما انا واثق منه — يكون مبلغ الفدية هنا على هذا المكتب الآن .

وأشار إلى المائة الف دولار .

ورأى جيم أن من واجبه اضافة شيء على أفو الى المدير :

ـــ كان يعرف أن النقود مأخوذة أرقامها ، عندئذ هبط إلى غرفة الخزائن ليتخلص منها واستطاع أن يشغل باركر عدة لحظات كانت كافية لإبدال العشرين الفا التى هى قيمة الهدية بعشرين الفا من أموال البنك وعلى اعتباره أنه يعمل هنا فهو يعرف تماما كتف قصر الرزم ولذا فقد قدر أن بوسعه اخفاء الأمر بحيث لا يفطن اليه أحدا .

وتهاويت مرة أخرى على الأرض ولكنهم لم يتركنى طويلا . ومروقت أجوف بينما كان المفتش يتلقى إلى مقر البوليس ليرسلوا اليه أرقام الأوراق النقدية التى قدمت كفدية وما أن وصلت هذه الأرقام حتى بدأ رجاله بالعمل حالا .

وكانت من الحرارة قد أصبحت شديدة الوطأة وكان جمع غير من الحشرين قد تمكنوا من الدخول إلى البنك .

وفرع الرجال الذين قاموا بتدقيق الرقاع المالية التى فى الكيس أولا .

وقال أحدهم :

ـــ لقد استبدلها دون ريب .النقود التى هنا لا علاقة لها بالأرقام.

وبعد عشر دقائق فرغ الآخـــرون من تدقيق المائة ألف

دولار ، والتفت شرطى يحمل على ذراعه شـــارة الرقيب إلى رئيسه وقال :

ـــ لا شيء هنا يا سيدى الملازم ، الرقاع جميعا لا تحمل أى رقم من تلك الأرقام .

وخيم صمت طويل قطعه السيد نيبر أخيرا بصوت متهدج :

ـــ هل تقصد أن مبلغ الفدية ليس هنا ؟ هل أنت واثق .

أو ما الرقيب ايجابا .

عاد الصمت مرة أخرى ثم تقدم بعضهم وفك القيد من معصمى .

وبدأ السيد نيبر شـــديد الانزعاج لدرجة مخيفة : والتفت إلى وقال :

ـــ فريد . . ما قولك بزيادة راتبك ؟

عندئذ انتصبت وقلت :

ـــ لقد اهنت وأسيئت معاملتى أمام هذا الجمهور ، وأنا ذو بنية ضعيفة وقد اصابنى الاغماء مرتين ، وفى الأغلب أن صحتى الجسدية والنفسية قد أصيبت بضرر بالغ للغاية قد لا يمكن أصلاحه .

وأخرجت خاتمى ذا الحجر الأصفر وأعدته إلى أصبعى وتابعت :

ـــ الواقع أنوى المطالبة بمليون دولار على الأقل كعطل وضرر ، وربما طلبت مليونين .

وتضرع السيد نيبر .

— وتضرع لحظة يا فريد ، أنا واثق من أننا سوف نتوصل إلى تسوية حبية معقولة .

وعقدنا اجتماعا ضمنى مع السيد نيبر ونواب الرئيس ؛ وفى نهاية يومى كان بوسعى أن أضيف عشرين الف دولار جديدة إلى نقودى التى فى الكيس البنى ذى السحاب .

هذا ما حدث ، . الحقيقة أن المال يحر المال ولكن لا بد من بعض الخيال الخصب مع ذلك . .

جاك ريتش

إلى النّار

استيقظ جونى كوكا مجفلا على صوت جرس التليفون ، ومد يده ، وفى الظلام ، نحو منتصف الطاولة الصغيرة بجانب سريره ، وتكسرت جفونه تحت تأثير النور المفاجىء وهو ينظر إلى ساعته ؛ كانت الساعة هى الرابعة وعشر دقائق : ثم أخذ السماعة وأجاب متثائبا .

— من ؟

وسمع الصوت النسائى لعاملة التليفون يقول بلهجة ملحة :

— ألو ؟ هنا مكتب الفندق الرئيسى . يا سيدى ؛ أرجو أن تعمل بسرعة وبدون وجل . لقد اندلعت النيران فى جناح الفندق الموجودة فيه غرفتك ، يجب على جميع النزلاء أن يتركوا غرفهم ويستعملوا أقرب مخرج لهم ؛ ليس لديك الوقت الكافى لارتداء ملابسك بل اكتفى بارتداء « الروب » فقط وحالا ، هناك خريطة صغيرة ملحقة على باب غرفتك تدلك بسهم أحمر على الطريق الذى يجب أن تتبعه ؛ لا تضيع أى وقت هنا وليس لدى وقت للاجابة على أسئلتك .

ثم سمع صوتا جافا يعلن اقفال الخط وانتهاء المخابرة .

وبقى جونى ، متلكأ على وسادته ، كأنه أصيب بشلل مفاجىء ، طيلة ثوان قليلة رهيبة ، كان نوع الحياة الذى يسير عليه ، يعرضه ، طبعا ، وبصورة مستديمة ، لاخطار مميتة ، وكان يتقبل تلك الأخطار كأنها تؤلف جزءا من مهنته ، لذلك لم يكن ليخاف كثيرا ، انما كان رغم ذلك ، يرهب جدا من أن يكون ، يوما ما ، ضحية للشواء على النار فى طابق مرتفع هبت فيه حريقة هائلة وابتدأت تلتهمه من أسفل إلى فوق ، أما الآن وقد أصبح ذلك السكابوس حقيقة واقعة بها هو قد ركز كل ارادته لطرد تلك الفكرة ، كلا . . يجب إلا يحدث ذلك ، لكنه لم يبدأ بشم رائحة بعيدة تشبه رائحة الدخان ؟ وهل تدخل النيران من النافذة أو أنها تتسلل من تحت الباب ومن بين شقوقه فى الناحية الثانية للغرفة ؟ وشعر بانقباض فى معدته وهو يتخيل السنة اللهيب تهاجم الرواق الخارجى متموجة وسط طبقة كثيفة من الدخان الأسود مرسلة حرارة لا تحتمل . .

عندما توصل أخـــيرا طرد تأثير الصدمة الأولى ، كان أول شىء ، فكر القيام به بطريقة غريزية أوتوماتيكية ، هو التوجه إلى النافذة ليلقى منها نظرة يقيس فيها مدى الخطر المدلهم ، رغم أنه كان يعرف ماذا سيرى هناك فى الأسفل وعلى ارتفاع عشر طبقات كان الحصى المبعثر فى أرض خالية ، والفراغ الهائل لذلك العلو الشاهق يملأه الليل والظلمة . كان على وشك التقدم من تلك النافذة ، غير أن

حاسته السادسة التى تسهر عليه وتنبهه فى الساعات الحرجة أملت عليه هذه الفكرة المفاجئة وسط هلعه وخوفه : « أن هذا الانذار المفاجىء يبدو لى ، ياجونى ، انذارا مشبوها اذن خاطر بخمس ثوان أيضا ونادى موظفة التليفون مرة ثانية » .

وتقدم جونى من التليفون ورفع السماعة غير أنه سمع الجرس يرن فى تلك اللحظة بالذات ثم سمع الصوت يقول :

— هل تسمع ؟ هنا المكتب الرئيسى لقد أصبح الجناح كله فريسة للنار ، لم يعد لديك وقت لارتداء ملابسك ، ضع حذاء فى رجليك وارتد الروب فقط اسرع . أن الخريطة الموجودة على . .

— نعم . نعم ، فهمت . لقد قلت لى كل ذلك . ولكن أريد أن أعرف . .

— كيف ؟ لقد قالت لك الموظفة الثانية اذن أسرع - هيا . أن الحاسد تتفاهم من دقيقة إلى أخرى و . .

لم يكن جونى بحاجة لسماع المزيد وترك السماعة تسقط من يده وهرع إلى الملابس وانتشل معطفه المشمع .

كانت فوهات البندقية المجهزة بمسورة خانقة للصوت ترتكز على حديد أحدى النوافذ فى بناية مواجهة ، مصوبة نحو نافذة غرفة جونى التى انيرت لحظة بلمبة الليل والتى حددت مكانها من بقية نوافذ الفندق الحالكة فى الظلام .

كان الرجل الراكع على إحدى ركبتيه ممسكا بالبندقية . كأنه صياد يتفنن ، يصوب نظره إلى النافذة المنارة وينتظره ، لقد تبادل استعمال آلة الهاتف مع الامرأة المختبأة فى الظلام وراءه ، وظهر أمامه فجأة شكل بشرى من خلال النافذة المقصودة وتحرك قليلا أمام الزجاج فانتبه المراقبان وركزا انتباههما على النور وســـألته المرأة بجانبه :

— ماذا تنتظر ؟ هل تنتظر أن يضع على الزجاج . هيا .

— كلا لا انتظر ذلك أبداً ، لأنه لا يفعل وأطلق طلقتين متتابعتين متقاربتين جدا وبتصويب دقيق ؛ ثم انهدم الزجاج وسقط على الأرض ، وبدون صرخة أو أى شىء انهدم أيضا ذلك الشكل البشرى الواقف وراءه وتهالك .

وقبـــل أن يقف الرجل الذى أطلق النار تراجع إلى الخلف بخفة ورشاقة حتى وصل إلى المكان المظلم وهناك وقف وأرسل تنهدة طويلة وهو يرتجف من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وجاءت الامرأة واقتربت منه وأخذا يراقبان نافذة الفندق . ثم قالت :

— فعلا أنه شىء لا يصدق . هل تعتقد أنك أصبته ؟

— نعم . . وفى الطلقتين . لقد نال جزاءه ياصغيرتى .

— اذن لنذهب الآن .

— بعد بضع دقائق فقط . تمهلى قليلا .

هل تظن أنهم سمعوا ؟

— وإذا سمعوا . من الناس سيزج أنفه وفى مثل هذه الساعة من الليل ؟

هل تسمع نصيحتى يا بول بكل صراحة ؟

« لقد قلت فى نفسى أنك فى الدقيقة الأخيرة ستخ
لأحد أن يحتال على جونى ويدعه يتعرض كهدف يمتاز وراء النافذة منارة » .

— لا تنسى أن كل واحد له نقطة ضعف ياصغيرتى . لقد سمعت منذ مدة طويلة بهلمة وخوفه من أن يكون فى يوم من الأيام أسهرا وسط اللهب فى أحد الفنادق .

— وكيف عرفت أنه سيقف وراء النافذة ؟

— لان كل إنسان يعمل هذا العمل فى ظروف كهذه ، إلا تفعلين ذلك أنت ؟

— نعم يابول ؛ أظن أنى أفعل ذلك .

— أنك تعلمين أيتها الصغيرة ؛ بأن مسرحيتك فى المكالمة التليفونية مع جونى كانت ناجحة جدا ؛ وخصوصا فى المرة الثانية عندما أوقعت الهلع فى نفسه ، كما وأنك نجحت بتغيير صوتك .

— ولو يا بول ، كل هذا يعتبر طفولة الفن ، أما الفنان العظيم فهو أنت وذلك عندما وجهت نداءاك له فى اللحظة المناسبة عندما كان

كان على استعداد لأخذ السماعة والاتصال بعاملة الهاتف ، كما وأنى أحيي فيك مقدرتك عندما ناديت العاملة وشغلتها .

ـــ كلها أعمال بسيطة يا صغيرتى .

ـــ وما الذى دعاك تفكر بذلك الانذار المفتعل الوهمى لجون .

ـــ لا يوجد أى شىء مستغرب فى ذلك ، لقد دعانى إلى غرفته فى الفندق فى يوم وصوله ؛ ودار بيننا حديث وأثناء ذلك تفحصت المكان والقيت نظرة إلى أسفل ورأيت المكان المناسب الذى يجب أن أقفك فيه . . وجاءنى الوحى بعد ذلك .

ـــ على كل حال لقد تخلصت منـــه الآن وارتحت من أثره إلى الابد .

ـــ صح ؛ يا صغيرتى . . ستتغير الحياة الآن . .

كان كوكوكا يقف حزينا يتأمل وهو يهز رأسه زجاج النافذة المكسور ، والتثقين اللذين أحدثهما الرصاص فى المعطف المشمع قرب الكتف ؛ وقال فى نفسه : كان ينقصنى بعد مسافة أصبع واحد فقط ليصيبنى الرصاص ، لقد نجحت فكرتى إذن عندما علقت ذلك المشمع بواسطة هذا القضيب أمام النافذة على ذلك الشكل ، ثم تراجع قليلا ورمى معطفه وتمدد على السرير وأخذ الهاتف .

وبعد مدة قصيرة سمع صوتا على الطرف الثانى من الخط يقول له بلهجة ناعمة :

ـــ جونى ؟

ـــ من يستطيع أن يكون غيرى صدفة فى هذه الغرفة يا ملاكى ؟

ـــ قد يجوز أنا ياعزيزى ؛ ولكن قل لى من هو الشخص الذى طلبك مرتين على التليفون ؟

ـــ الشخص ؟ آه نعم صديق قديم لى يا حلوتى :

ـــ كنت حاولت سماع المخابرة لولا أنك نبهتنى تنبيها قاطعا بعدم القيام بذلك وخصوصا فى هذا الوقت .

ـــ لقد صنعت جيدا يا صغيرتى ، فما رأيك إذا جئت إلى هنا لقول لى فى أذنى كلمة صباح الخير صغيرة ؛ لطيفة .

ـــ جونى ! لو ، إلا تعرف أنى الآن وحدى فى السنترال ، ورفيقتى مريضة وغائبة ؟ أنى لا استطيع ذلك . .

فريدس كوبى

المرأة والجريمة الكاملة

كان مسكن عائلة ولدمر يغرق السنة بكاملها فى ترفه الانيق وبقى هكذا حتى العاشر من ايلول ، الوقت الذى وجد فيه هابار ولدمر مقتولا فى أحدى شاليهات الشاطىء برصاصات مسدس .

وهذا الحادث الجلى الواضح فى الظاهر ، كان يخفى وراءه معضلة من أشد المعضلات ازعاجا وغموضا .

كان هابار على وشك الزواج للمرة الرابعة عندما تعرفنا - زوجتى وأنا - بعائلة ولدمر ، ولم تقبل امرأتى الوحيدة الفريدة لوجهه تعالى ، حسب عادتها ، إلا أن تزج أنفها بأمور الآخرين .

وهكذا علقت على هذا الزواج باندفاع ظاهر وهى تقول : لم اتوصل أبدا لفهم هذا الاختيار ، فهو من الأمور التى لا يمكن أن تحصل .

— ولماذا لا تحصل إذا كان هابار يريدها كذلك ؟

— هذا يناقض كل عرف وقاعدة ، فالرجال الذين يتزوجون

٣٩ مرة لابد لهم من أن يتزوجوا دائما بنفس النوع ونفس الصنف من النساء . . فإذا توفيت أنا يا فريد يجب عليك أن تتزوج بواحدة مثلى تماما .

— طبعا ، ولكن لا تنسى أن لكل قاعدة شواذا .

— ليس فى حالة كهذه ، أن للتقويم مهم جدا ، فزوجات هابار الثلاث الأول كن مخلوقات « مخملية » لا يطلبن من دنياهن سوى التنزه والمرح . . أما أن يورنى فهى . .

— كان يوجد كثير من الحقيقة فى قول زوجتى اليا ؛ وهكذا كانت دائما .

كانت آن بورنى تتحدر من الحى الاستقراطى فى بوسطن ، وهى لم تكن تلمع قط أكثر من شمعة حزينة وراء نافذة مغلقة ، كان ذلك منها ليس لأنها ذكية أو تتمتع بشخصية فذة وحسب ، إنما أيضا لأنها كانت توحى القناع لبحيرة صغيرة من بحيرات الجبل مخفية وراء أعماقا بعيدة لا يمكن لأحد سبرها ، ولذلك استولت على الدهشة أنا أيضا عندما علمت بموافقة آن بورنى على الزواج من هابار ولدمر وتساءلت بينى وبين نفسى لماذا لم يكن الأمر عكس ذلك .

أن اليا زوجتى قالت بصراحة وهى واضعة أصبعها على الجرح بالذات

— لقد وافقت على ذلك طمعا بثروته طبعا ، وعلى كل حال فهو ليس قبيحا للغاية رغم حركاته وتصرفاته المزعجة التى لا تطاق .

وهذا التطليل من اليا كان على جانب كبير من الحقيقة أيضا . فولدمر كان يتمتع ببعض الازقة ولم يكن ينتمى كليا إلى ذاك النوع من وجوه المقامات العليا .

كان يؤخذ عليه بعض نواحى شخصيته فقط ، كالشعور بالوحشية البارزة مثلا عندما تقترب منه والقساوة التى لا يمكن له بأى حال من الأحوال أن يقنعها أو يخفيها .

— مهما تقولين يا اليا . . فولدمر وآن ورنى كلاهما من بوسطن أنهما على كل حال ، شخصان لم يخلقا ليعيشا معا مهما كان الثمن الذى يدفع فى سبيل ذلك .

— لم يكن لها الخيار .

كان من البله واضاعة الوقت محاولة القاء الشك على معلومات جمعتها اليا بنفسها وخصوصا عن شخص أثار فضولها ، أنى لا استطيع تعداد المرات التى كانت تفوز فيها مثة بالمئة عندما كان يصير رهان فيما بيننا من ذلك النوع ، لها :

وأى خيار ؟

— أنها لم تعد تستطيع العيش على الهبات الصغيرة التى كان يقدمها لها أصدقاؤها خفية ، من يدهم ليدها .

طبعا ، كان هذا الشىء يفسر الكثير من الغوامض رغم ردة

الفعل المباشرة بعد التساؤل عن السبب الذ كان يمنعها ؛ رغم حاجتها ؛ عن العمل مثلا . ولكن هناك اجابات كثيرة يمكن قولها فى هذا الموضوع . فعمرها أولا ومركزها الرفيع ثانيا وماضيها ثالثا وأمور كثيرة غيرها . .

أن آن بورنى لعبت بمستقبلها دفعة واحدة . فالبقاء هكذا إلى ما لا نهاية له على الهبات والاعلانات أصبح أمرا لا يصدق بالنسبة لها ؛ وخصوصا إذا طال الوقت ؛ فالقضية . مع الزمن ؛ تثقل بنفس الثقل على العاطى والآخذ معا .

أنها اذن خالية الوفاض ؟ أو ليس عندها بعض الأقارب الميسورين لكى يساعدوها قليلا ؟

— ليس لها سوى أخ وحيد يصغرها بعشر سنوات والمال الذى كانت تحصل عليه من هنا وهناك كان كله يستقر فى جيبه .

— أنه لا يصلح لشىء اذن .

— نعم وهو محتال خداع أيضا غير أنه فى الحقيقة لم يدعى أبدا أمام محكمة من المحاكم واتصالاته تثير الفضول .

— ومن أية ناحية ؟

— أنه يملك جسما قويا وجميلا . وأبرز نشاطاته كانت تنحصر بالقيام بدور الحارس المرافق لأحد النافذين فى البوليس الانحادى .

أريد ان أقول لاحد الذين تدفع لهم منظمة البوليس الاتحادى بكرم وسخاء . انى لا أتذكر اسمه الآن .

— ولكن ما هو الغريب فى هذا ؟

— ما بالك يا فريد ؟

— هل يتقاطى هذه المهنة حتى الآن ؟ من العادة أن يدفع الكثير لامثال هؤلاء . والذى يحيرنى كيف أن آن كانت تدفع لهذا الأخ كل الذى كانت تحصل عليه كحسنة من أصدقائها ؟

— لقد مات الرجل النافذ منذ سنتين وطبعا لم يعد صدقة مثة بالمثة . . . ومنذ ذلك الحين أخذ بيتر يعيش حياة مثالية قانعا بالبقاء تحت اعالة أخيه .

— وأين هو بيتر الآن ؟

— لقد جاء إلى هنا ليحضر الزواج طبعا .

وهنا يعنى أنه فى فلوريدا . ولكى نكون واضحين أكثر نقول فى مدينه هالسيون الصغيره القابعة على الشاطىء الشرقى شمال ميامى المدينة التى أشترينا فيها منزلا بعد أن تقاعدنا عن العمل تاركين أمور مكتبنا للتحريات الخاصة بين يدى ولدنا فرنك . لقد أخذ فرنك على عاتقه أمور مكتبنا الرئيسى نيويورك حين يذهب اليه كل صباح من سكار سدال مقر سكنه .

أما من جهة مقر هابار ولدمر ؛ فانه كان أكبر من منزلنا بعشر

حرات تقريبا ، وليس فى هذا شىء من الغرابة ابدا ، إذ أن ثروته كانت بنفس المقياس أيضا بالنسبة لنا ، كانت وارداته تتمثل فى مجرى من الذهب لا ينقطع ليلا ونهارا ، يتفجر من تلك السلسلة المهمة من الموتيلات الفخمة التى عرفت هابار كيف يقيمها بكل حنكة ودراية فى أجمل مكان من البلاد .

كانت الموتيلات فى هالسيون مثلا على الشاطىء تماما ، وكانت تمج والشمس الساطعة والأجسام العرية .

تمت مراسيم الزواج ببذخ فى منزل ولدمر فى الرابع من كانون الأول ولم يحدث أى شىء غير عادى أثناء ذلك ، وعند انتهاء أردت الذهاب وابتدأت ابحث عن زوجتى .

كنت أتابع البحث عنها فى البستان الفسيح حول البيت عندما وجدت نفسى فجأة فى أحدى الزوايا الزهرة وجها لوجه أمام الفتى بورنى يعانق لاس ولدمر ابنة هابار الوحيدة من زواجه الأول وكان يطوقها بذراعيه ، وفكرت ، لأول وهلة وأن الأمر لا يتعدى نزوة من نزوات الشباب . . غير أنى كنت على خطأ ، فالفتى والفتاة ، بعد أن شاهدانى ، عادا إلى الواقع ولمحت فى عينيها عاطفة حب صادق ، وحاولت جهدى دون ازعاجهما ولن « لاس » تكررت بنفسها من ذراعى الفتى وقالت لى بصوت يشوبه التأثر الواضح ويملأه الخوف من فصح الأمر .

— أرجوك كل الرجاء يا سيد براند إلا تذكر شيئا عن هذا اللقاء لأحد .

— اطمئنى يا آنسة ولدمر ، سوف لا أنبس بكلمة أمام أى كان .

— لأى كان اطلاقا .

— حتى ولا لها زوجتى ، اطمأنى .

— أشكرك لتلطفك .

ثم افترقا وتابعا طريقهما على مهل وأنا تابعت بعينى ووجدت اليا أخيرا على شاطىء بيتين جميلين كانت يتلهى برمى فتات الخبز للاسماك ، وذهبنا إلى بيتنا .

لقد حافظت على السر كما وعدت ، ولكن مهما تحفظ الانسان بالنسبة لاليا فانها لابد وأن تشعر باحساسها المرهف وجود شىء فى الجو ، لذلك فأنا متأكد كل التأكيد بأنه لن يطول بها الوقت لتنكشف الأمر .

قالت لى بعد بضعة أيام فندما كنا نتناول الطعام :

— ظننت فى بداية الأمر أنها شائعة لا تركز على أى أساس من الصحة ولكن بعد أن فكرت قليلا وجدت الأمر طبيعيا ومعقولا .

— أحسنت يا اليا .

— لا تسخر منى يا فريد ، أن رأيك كرأيي تماما .

— هل أنت متأكدة ؟

— طبعا ، فالاعتراضات الابوية الصادرة عن هاباو تبدو فى الظاهر متناقضة كل التناقض ، لماذا يمانع ويرفض كل الرفض زواج ابنته من الفتى ، طالما أنه قبل دخول آن بورنى وأخوها فى عائلته ؟ هذا من ناحية . . ومن ناحية أخرى فالجميع يعرفون تفكير ولدمر المتفتح واتجاهه الحر فى الحياة ، وإذا اردت تصديق بعض المعلومات المتفرقة يبدو لى أن هاباو لا يمانع فقط فى هذا الزواج إنما يحاول أيضا أبعاد الفتى بلطف هو وجميع أصدقائه القدامى ، سيرسله مثلا إلى المكسيك أو آسيا متى منا له المد الكافى ليعيش هناك بسعة ورغا . أن هذا التصرف منه يحيرنى .

— ولكن آن لاتقبل بهذا مطلقا .

— ستتعجب جدا عندما تعرف بماذا ستقبل آن بوتى الشهيدة . أنى لا أحال اثارة اهتمامك الآن ، ولكن ماذا تظن سيحصل ؟

— أنى لا أملك مواردك العديدة فى الاستعلام .

— اذن أعلم أن كل هذا يتصل ببناء موتيل جديد يفكر هاباو باقامته فى « هاربور » ، والأمر لا يتعلق بنوع الموتيلات وفيما إذا سيكون مرتعا لأغنياء جدد كالموتيلات الأخرى المنتشرة فى كل مكان

جريا ، إنما هذا سيكون على غرار البلازا أو سان راجى وغيرها ، أنه سيكون مهر ابنته لاس التى هى الآن فى سن الزواج .

لقد ابتدأت أفهم الآن شيئا فشيئا .

ـ طبعا ، واليك السبب الذى قرر هابار من أجله الزواج من آن بورنى ، لقد علق بزوجاته الثلاث الأوليات نتيجة للظروف والمصادفة أو أشياء من هذه ، غير أن هذا الزواج الرابع كان مقررا من قبل مدروسا بتأن ودقة ، فواحدة من عائلة بورنى من بوسطن ستكون حتما القطب الجاذب لشلة كبيرة من الزبائن المرغوب فيهم . والموتيل الجديد سيكون طبعا بالنسبة للاس المركز المثالى لانتخاب « السمكة » الكبيرة المختارة ، أظن أنك تفهم على ، أليس كذلك ؟

ـ بت أفهم أن بيتر بورنى هذا أصبح كالشعرة فى العجين أو كاللحظة فى الثوب الأبيض .

ـ تماما كما قلت ، وسيكون من الممتع حقا انتظار الطريقة التى سيستعملها هابار لسحب تلك الشعرة دون أن تترك أى ازعاج .

ـ أنى أتساءل الآن فيما إذا لم تكن قرب قنبلة موقوتة .

ـ وأتساءل بدورى أيضا كيف استطعت الوصول إلى فكرة كهذه ؟

قالت هذا وهى تقوم لتذهب إلى لعبة الغولف اليومية ، هكذا

كانت تفعل فى صبيحة كل يوم من تلك الأيام التى تكررها المياه أو يجددها .

جرى هذا بعد بضعة أسابيع . ولكى أوضح أكثر ، كان ذلك فى ليلة العاشر من يوليو بالذات . التقيت بان بورنى فى « نادى وولفن » أثناء السهرة الأسبوعية التى تقام كل سبت والتى لا تتغيب عنها ان اطلاة مهما كلف الأمر . هل كان ضوء القمر هو الذى جعلها تبدو ساحبة إلى هذا الحد ؟ لست أدرى ، كانت كأنها شبح من أشباح مسرحية هاملت انفلتت منها دون مشوره أو استئذان . ودخلت معى فى صلب الموضوع دون أى مقدمة . قالت :

ـ سأحتاج لمساعدتك يا سيد براند .. انى قلقة بخصوص هاياو .

وبأية مناسبة يا مسز ولدمر ؟

انك تسمع طبعا بالاحداث المالة بين اتحاد أصحاب الفنادق ونقابة العمال والمندوبين الموجلين أخذ موافقة النقابة .

ـ نعم . عندى علم بذلك .

ـ وانك لا تجهل أيضا بأن اتفاقا كان قد وقع مؤخرا . وكما قال لى هابار ، أن هذا الاتفاق ليس جبريا ، وبالتالى فرو بعض ملاكى الفنادق عدم تنفيذه وهابار من جملتهم حتى أنه كان من أشد المعارضين لتنفيذه .

انك تتوقعين بأن يكون زوجك عرضة لبعض التهديدات ؟

— نعم .

— ليست تهديدات مباشرة طبعا فأعضاء النقابة ليسوا بهذه السذاجة حتى . .

— طبعا . طبعا . أن التهديدات أتت غير مباشرة من جمعية سرية تدعى « اتحاد الدفاع » قد أفهم هابار بأن عليه أن يختار أحد أمرين . أما الرضوخ للشروط الموقعة من النقابة وأما سيكون عرضة للمشاكل . وكما تعلم لم يتدخل الاتحاد الاليحمية من هذه المشاكل وذلك بواسطة مبلغ يجب أن يدفع .

— هذه هى العادة يا مسز ولدمر . أظن أن زوجك مقتنع كل الاقتناع بأن النقابة ليس لها دخل بهذا الموضوع وسوف لا تتأخرين بالحصول على البرهان القاطع بأن هذا الاخراج للقضية هو مجانى صرف ، وفى الحقيقة لا يتصل الأمر إلا ببعض الفئات الشريرة التى تريد استغلال الموقف لمصلحتها الخاصة راجية من وراء ذلك الربح الخالص لها .

— فى الحقيقة ، لا أهتم مطلقا لمعرفة الصلة بين أولئك القوم والنقابة انما كل ما أهتم له هو حياة هابار انى أظن أنها فى خطر .

— حياته ؟ انك تذهبين بعيدا يا مسز ولدمر . . لا . . تصورى فقط بعض التخريب فى منشآت الموتيلات ، بعض الاضرار المادية ليس ألا ، ولكن جريمة ؟ كلا ، انى لا أتوقع ذلك .

وانكأت ان بورنى على حاجز الفيرندا وبدا عليها الشحوب أكثر وأكثر وخصوصا بعد أن مال القمر الآفى فى الأفق نحو المغيب ، وبعد صمت قصير قالت :

— ولماذا لا تحدث جريمة يا سيد براند كتأديب لبقية الملاكين الذين لا يريدون الرضوخ مثلا .

— ولكن يا مسز ولدمن ، انك تتكلمين كما لو أن زوجك كان هدفا لتهديد واضح مقطوع .

— انها هى الحالة بالذات . فمنذ ٤٨ ساعة تقريبا طرد أحد رسل النقابة ، وعثر صباح أمس على كلمات مكتوبة على رمال الشاطىء الطرية [

— على رمال مسبحكم الخاص .

— نعم ، كانت تقول تلك الكلمات : « ولدمر ، التسليم أو الموت » ولا شىء غيرها وبعد أن قرأها هابار لم يفعل شيئا بل ضحك ضحكة طويلة ثم مسح الكلمات برجليه .

لم يكن ذلك التهديد غليظا فقط بل كان يدل على عدم دراية أيضا ، هذا ما قلته للسيدة ولدمز فبدلا من أن يوجه أصحابه بطريقة خفية مستورة لم يروا أفضل من ذلك المكان المطروق .

— ولكن كلا يا سيد براند ، اؤكد كل التأكيد بانه ما من أحد يدخل ذلك المكان سوانا ، والموظف المولج بخدمة المسبح لا يأتى قبل الساعة الثانية ، وكما تعلم ، فان هابار اعتاد أن يأخذ حمامه كل يوم

فى الساعة السادسة صباحا . كما وانك يجب أن تتذكر بانه مسبح خاص بكل معنى الكلمة .

— هل تحدث السيد ولدمر عن هذه الحادثة !

— أمام العائلة فقط ، وذكرها وهو يمزح مستهترا بالأمر .

— وحضور لاس وبيتر أيضا .

— نعم كانا حاضرين معا لانا كنا أثناء غداء وداع بمناسبة سفر بيترلى باهاما ، يريد هابار ارساله إلى هناك ليستكشف الجزيرة وسيذهب بعدها الى أمريكا الجنوبية اينتش عن مكان مناسب لاقامة موتيلات جديدة ، يبدو لى أن زوجى سيوسع أعماله كثيرا

— قد قلت لى يا مسز ولدمر بانك قد تحتاجين إلى ، بماذا أستطيع خـــدمتك .

أريد أن تيسر لى حارسا خاصا لهابار من وكالتكم البوليسية ، لقد فهمت أن ابنك هو الذى يهتم بشؤون الوكالة ، هل تقبل أن تـــكون مساعدى لديه .

— بكل سرور ، ولـكن هل يقبل السيد ولدمر بذلك .

— بصراحة . أنى لا أظن ذلك . لهذا أريد أن يـكون محروسا دون علم منه ، دون أن يشعر ، هل هذا ممكن .

— أنه ليس من السهل ، ولـكن سأحاول ، سأتصل غدا صباحا بابنى فرانك .

وفى صبيحة اليوم التالى كان ولدمر قدمات . . مات بأربع رصاصات أطلقت من مسافة بعيدة نسبيا وبقيت مستقره فى جسده . وعندما استخرجت وجدت انها اطلقت من أربعة أسلحة مختلفة العيار وحصلت الوفاة فيما بين الساعة الثانية والثالثة صباحا .

حصلنا على هذه المعلومات الفنية من شاب دوجان رئيس الفرقة الجنائية ، كان صديقا لى وكان يأتى للتحدث معنا ، الياو وانا ، وخصوصا إذا كان الأمر يتعلق باحد المجرمين الذى تمكن من أكل الطعم والفرار .. قال دوجان . هذه الرسالة ما كدنا نفتحها حتى أفضلناها

وقلت له بينما كانت اليا منهمكة بتطريز منديل لها من الكشمير .

— أظن أن الحق معك .

كانت اليا صامتة كل الوقت ولم تقل اية كلمة .

لقد أظهر التحقيق الرسمى أو ولدمر كان ضحية لأربعة قتلة جاء بهم ، اتحاد الدفاع ، لاثارة الرعب والمساومة ، كان القتلة الأربعة محصنين للغاية ، انهم ينتمون لعصابة اجرامية من الطراز الأصلى ، وكان كل واحد منهم يعتمد على قول الثلاثة الآخرين ليستفيد منه وهكذا كان ينهدم الاتهام كقصر من الورق ، بينما الأسلحة الأربعة كانت حتما تقع فى قعر المحيط .

عندما قام البوليس بتفتيشه الأولى عثر على رسالة موقعة باسم « فلوس » فى مكتب ولدمر كما أنه عثر على قرائن أخرى فى غرفة نومه الخاصة .

كانت الرسالة تحدد موعدا فى الساعة الثانية من الصباح وذلك فى مكان الجريمة ، وعرف اسم فلوس فيما بعد ، كانت ملكة جمال شمليتا سنة ١٩٥٦ ، انها أحدى الفاتنات فى ميامى ، كما قيل عنها أيضا بأنها كانت تطمح فى أن تصبح « السيدة ولدمر رقم ٥ » .

اعتبرت « فلوس » بحدة أن تكون قد كتبت الرسالة واثبت التحقيق فيما بعد صحة قولها ، غير أنه اعتبر رسميا بأنها كانت على علم بالحادثة وذلك لكونها عشيقة أحد القتلة والذى اثبت التحقيق أيضا بأنه هو الذى كتب الرسالة بيده واعترف بذلك اعترافا صريحا ، كما أنه قال فى اعترافه بانه هو ورفاقه الثلاثة لم يقصدوا قتل ولدمر ، انما كانوا يريدون تأديبه فقط والضغط عليه ولكنهم عندما وصلوا إلى المكان وجدوه مقتولا ، والبوليس لم يصدقهم طبعا نظرا لما لهم من سوابق .

قال دوجان ودلائل الارتياح بادية عليه :

ـ أصبح كل شىء الآن فى الجعبة ، لقد جذبوا ولدمر بواسطة تلك الرسالة ، وإذا افترضنا أن المحكمة لم تشاركنا هذا الرأى ، وذلك يكون مستغربا منها ، فعلى كل حال يجب أن ينال هؤلاء الأربعة جزاءهم نظرا لما لهم من سوابق عدة فى حقل الجريمة . باستطاعتك الاطمئنان أيها الصديق من هذه الناحية .

ومرت الأحداث كما قال عنها دوغان والتأمت المحكمة وأصدرت حكمها على القتلة الأربعة حكما وجاهليا مربما غير قابل للتعديل

والتبديل ولا الأسباب التخفيفية . ونفذ الحكم فيهم فى ١٢ يونيه التالى .

والآن ، إذا اعتبرنا الناحية الاجتماعية للقضية ، نرى أن الأمر قد تغير . فقد ورثت « لاس » الثروة العظيمة ، كما أن ان ، كأرملة القتيل حصلت على حصتها من التركة وهى تضاهى ثروة بكاملها بالنسبة لاشخاص اخرين . أما بيتر فقد عاد من سفره مسرعا وتزوج من لاس دونما ضجة وأبهة . من المثير حقا هو حظة سير الظروف والأقدار وكيف اجتمعت ورتبت هذا المصير .

كان ولدمر ؛ فى حياته الخاصة ، وحشا مفترسا أنيانا ؛ لا يهمه غير من زوجاته الثلاث الأول سوى أنهن زوجات حسب وهوى فقط اتخذهن لاشباع نزواته ، وأخذته حبا بالترف والحياة الواسعة ، الا انهن رغم هذا كن حتما يتعذبن ويلاقين الأمرين من زوجهن القاسى . وخصوصا فيما يختص بوالدة لاس . أن هذه الأخيرة لم تكن تشبه أبيها ، بل كانت ترث من صفات أمها الشىء الكبير .

كان هاباز ولدمر قد اشترى اولئك النسوة ، الواحدة بعد الأخرى وكان يعتبر من عاشقات هابراء أكثر من كونهن زوجك . وكان ؛ بعد أن يستهلك الواحدة منهن ، ويشبع منها ويرمى بها دون شفقة أو رحمة ، ولكنه توفى الآن وأصبح فى ذمة الله وكذلك المسؤولون عن موته فلماذا هذا الحديث اذن ؟ ولكن رغم هذا يجب ذكر هذه الملاحظة بما يختص بالمجرمين الأربعة :

لقد لاقى هؤلاء جزاءهم العادل . فلنفترض ، مبدئيا ، انهم ليسوا هم الذين قتلوا ولدمر كما جاء باعترافهم ، فعل كل حال ، انهم يستحقون هذا المصير وذلك لقتلهم ذاك الصبي المسكين « بيسكين » بكل شراسة ووحشية ، كما أنهم أقدموا على اغتيال تلك الفتاة الموظفة في البنك التي حدثنا عنها دوجان في حديث سابق ، ولهذا السبب لم يكن من المستغرب أبدا أن تلصق بهم تهمة قتل ولدمر بالرغم من أنها كانت نتيجة ظروف معينة وبالرغم من تداخلهم المتواصل بجرائمهم حتى آخر لحظة . نعم كان وبحتمية ذلك المصير ، ما عدا اليا .

قالت لي ، أثناء العشاء ، ليلة تنفيذ الحكم بالاشقياء الأربعة :

— قل لي يا فريد ، ما رأيك في نظرية ويسمان . نظريته الخاصة عن الوراثة عامة ؟

وبعد تعجب خفيف أجبتها وأنا أنظر اليها :

لست أدري . حتى اني لا أعرف أبدا ماذا تقول تلك النظرية .

— انها نظرية في انتقال الطبائع من جيل إلى جيل ، لقد عاش ويسمان هذا في القرن التاسع عشر وكان معاصر الداروين ومالتس ، كان يقول أن الانتقال الوراثي ، يتم في بعض الأحيان ، وهذا كاملا في المرء عبر الاجيال من جيل إلى جيل ولا يظهر الا عندما تجتمع له الظروف الوراثية . . وإذا لم تجتمع تلك الظروف والمقومات ؛ يبقى كامنا ينتقل بحالة اللاوعي ؛ من سلاله إلى أخرى حتى يتم له ذلك . وإذا . .

— أفهم من قولك هذا ؛ بانه لو كان الكابتين كيد أو جاك السفاح أسد أجدادي ؛ فالغريزة الدموية فيهما كان بامكانها أن تنفو مأمان في أعماق ضمير أجدادي عبر الأجيال ؛ ولكي تستيقظ في فجأة يجب أن يتوافر لها الظرف والمكان . .

— تماما يا فريد .

— هم . . وبعد هذا ؛ ماذا تقصدين من وراء هذه النظرية يا اليا ؟

— هذه النظرية بالذات تشرح لما موت هابار . لا تقل لي أن أولئك الأربعة هم الذين قتلوه .

وصمتت عندما سمعت منها هذا الكلام . نعم صمتت وأقول ذلك بكل صراحة .

كانت اليا ؛ في مختلف القضايا العنيفة التي قامت بها مؤسستنا (كنا مختصين بالقضايا الكبرى) كانت دوما مصدرا للرأي السديد القاطع ؛ أني لا أستعمل هذا التعبير لانسب الأمر إلى الإحساس الشائع المعروف الذي هو الان موضوع بحث دقيق من جميع النواحي ، انما لأنه الواقع فقط ؛ ولنفترض أن اليا كانت تقول الحقيقة ؛ فلمصلحة من كان اغتيال هابار ؟ طبعا لمصلحة بيتر بالدرجة الأولى وهو بالنسبة لي المتهم رقم واحد ؛ فبلا أن هذا صدمني فجأة في عيني ؛ وقلت لزوجتي :

— أني اتصور يا اليا ؛ من خلال قولك ؛ أن بيتر هذا استحصل على ولاء الفداي وذلك دون أن يدعهم يعرفوه ؛ ثم اتخذ من شخوصه

إلى باطلها عذرا يختفي وراءه .

— كلا ؛ ابدا ؛ أن بيتر اتس لم أية علاقة فى القضية .

— ماذا ؟ ولا يمكن ايضا ان تكون لاس أو ان مثلا ؟

— ليست لاس أيضا .

— أذن من ؟ ان .

— لم يبق غيرها على المسرح .

وقفزت من مقعدى كالمغفل مرسلا ضحكة من أعماق قلبى ؛ وتخيلت أو المهذبة ؛ اللطيفه تستأجر أر[illegible] رمين وبطريقة غير مباشرة دون أن يكون لها أية علاقة ظاهرة بهم . كلا ؛ أن هذا غير معقول ؛ وأعلمت لياقتى لا أستطيع [illegible] على هذا التفكير وبعد لحظة صمت سألتها :

ولكن لا بأس ؛ لنفترض أن الأمر كما تتوهمين ؛ فما هى الفائدة التى تنتظرها ان من تدبير تلك [illegible] لقد حصلت على الفائدة المنشودة وذلك بزواجها من ولدمر ؛ هذا من ناحية ؛ ومن ناحية ؛ ومن ناحية ثانية ؛ يجب أو تعنى أن ان هو من ذلك النوع من النساء الذى يحترم الكلمة المعطاة .

— صح ؛ ولكن بشرط أن يكون الفريق الثانى مستعدا أيضا لاحترام الوعد ؛ أنك تعلم جيدا طابع ولدمر ؛ فهو عندما ينتهى منها ويملها فلا يتأخر ابدا عن طرحها خارجا والاستغناء عنها ؛ أنه لا يستذر

مطلقا فى أو يحل محلها فلوس مثلا أو أية واحدة أخرى من ذلك النوع

ولكن ليس هذا سببا كافيا لاغتيال زوج وخصوصا إذا كانت الزوجة كآن بورنى لها مركزها وشهرتها وصيتها .

وتنهدت اليا تنهيدة طويلة معبرة بذلك عن صبرها الجميل الذى تتحمل به سذاجتى ، ثم أجابت :

— منذ بضعة أشهر وأنا على اتصال بماربون دوشستر فى بوسطن وماربون هذه رئيسة مصلحة أحدى شركات ماساشوستس التى تتعاطى أبحاث علم السلالات ، طلبت منها أعطائى نسب عائلة بورنى .

ولأى سبب أيتها الجميلة .

— بضاح أمر كان يخالجنى ؛ ولم تنته ماربون من العمل إلا فى هذا الصباح ، أن أبحاثا كهذه تتطلب وقتا قدتم تنفيذ حكم الاعدام بالاربعة الآن ولكن من المرعب حقا ماقالته لى ماربون يا فريد .

— اغتيال فظيع قام به أحد أجداد ان اليس كذلك ؟

— ليس هذا ابدا ، صعدت مابون فى النسب إلى القرن الخامس عشر ، فى الوقت الذى كانت فيه عائلة بورنى اليوم تعرف باسم بونى ، كان يوم ذلك ؛ العهد الذهبى للقرصنة ؛ وكان من بين القراصنة المشهورين الذائعى الصيت ؛ امرأتان تجد اسمهما فى دائرة المصارف البريطانية ؛ الأولى كانت تدعى مارى راد أما الثانية فهى ان بونى .

— يعنى ان بورنى ؟

— تصور هذه التى تعرفها الآن تحت ملامح آن بونى ، وتصور أيضا هابار ولدمر مركبا مليئ بالذهب ـ مركب كفيل بانقاذ آن وأخيها من الصعوبات التى يتخبطان بها تصور هذا يا فراد .

— أنى أحاول ذلك أحاول تذكر الظروف التى أحاطت بمقتل هابار ولدمر . . بعيدا عن تلك الفضائل الوراثية ؛ أنى اعترف بصراحة ؛ بعدم ايمانى أطلاقا بتلك الأرستقراطية ان

بونى ؛ كما وأنى لاأصدق ابدا ان بورنى الحاضرة اتصلت باولئك الأربعة بطريقة أو بأخرى ثم ساومتهم على ثمن خدمتهم

— ولكن كلا يا عزيزى ؛ فهى لم تحتاج لهذا مطلقا . فالذى قامت به يدل فعلا على ذكاء حاد ويجدر بتسميته « الجريمة الكاملة » أن القضية أهملت الآن والقانون لا يسمح بفتحها من جديد مهما كانت الظروف والأحوال . لقد عثرت ان على تلك الرسالة على مكتب هابار ؛ رساله فلوس التى تحدد الموعد فى الكابينة على الشاطىء وعندما جاء الأربعة للموعد ؛ وجدوا هابار مقتولا ؛ لقد تدبرت ان الأمر لكى تكون فى الكابينة قبل الجميع . . وكانى لديها الوقت الكافى لذلك .

— أنك مجنونة يا اليا ؛ فكرى قليلا كيف يمكن لأن أن تذهب هكذا إلى السوق وتستحصل على أربع رجال ثم تقول لهم بكل صراحة: تعالوا معى أريد قتل زوجى . .

— ثق يا عزيزى أنى لست مجنونة ، لم أقل لك هذا مطلقا ؛ انما الذى قلته هو انها قامت « بالجريمة الكاملة » واليك كيف ؛ لقد اقنعت

ان البوليس بما تريد وتشهى وملك باقناعها اياه بأن قتل زوجها كان نتيجة للخلافات القائمة بينه وبين النقابة أما فى الحقيقه فهى التى قامت بكل شىء بنفسها دون أى شريك .

انها تستطيع شراء السلاح المختلفة بكل سهوله ودون أن تثير أى انتباه ؛ ثم وضعت فى كل مسدس رصاصة وأطلقتها على الزوج المسكين .

— أنها ليست ان بورنى .

— كما تريد يا فريد ليست ان بورنى التى تعرفها ؛ انما تلك الكوامن الوراثية التى كانت تغفو فى أعماقها من ان بونى القرصانة استيقظت فجأة فى نفسها عندما وتاما الظرف والمكان لقد تكلم الدم فيها يا عزيزى .

وبقى هذه الأمر معضلة بالنسبة لى ؛ هل صحيح أن الدم تكلم أم لا ؛ لست أدرى .

ما رأيكم ؛ هل كانت ان بورنى قرصانة فى أعماقها أم سيدة مجتمع

دوفوس كنج

جلس جمع من الناس فى صالة الفندق ؛ يتبادلون الأحاديث والقصص الملفقة ؛ عندما جاء دور رودنى حرين ، فاتخذ لنفسه هيئة الوقار وشرع بسرد قصته :

لا أزعم ؛ أن لايمان بالأشباح ؛ عقيدة شائعة فى اركساس ؛ ولكننى أقول انى مررت بتجربة من هذا النوع هناك قبل بضع سنـــوات .

« كان الوقت فى أواخر الخريف ، وكنت فى قرية بكستاون المشهورة برذائلها والتى تدنس القسم الأكبر من الولاية ، وكانت البلدة صغيرة ، ومن أقذر ما رأيت فى حياتى ؛ ولم يكن نزل بكستاون ، بأحسن حاله من البلدة التى يقوم فيها ، ويعيش فى المنطقة عدد كبير من الناس ، يتمسكون ، بمختلف أنواع الخرافات السخيفة . وكان يدير الفندق شخص يعتبر من أحط الناس وأحقرهم ، اشتهر بالشح إلى حد كبير ، وبالانحطاط وكانت حياته الضيقة تتميز . نشره شيطانى لا مزيد عليه . وكانت القصص سائرة . عن أنه قتل . الذين كان يعمل معهم . طمعاً فى مالهم .

وعلى الرغم من أن الحقائق لم تعرف حتى الآن . إلا أن هذا النزل كان يحيط به جو من الرعب والفزع . تسيطر على كل مايمت اليه بصلة .

« وقد انتقلت ملـــكية الفندق . إلى شخص يختلف عن ذلك الرجل كل الاختلاف اسمه بنكر واطسون . فهو من أهل الجنوب . ومن

الناس الذين لا يكترثون بشىء ، بل يعيشون فى مرح ليومهم دون غدهم ؛ وهو يحب الويسكى ويقبل عليه ، ويمضغ الكثير من التبغ الأسود ؛ كما يدخن غليوناً فى نفس الوقت .

وقبل أن النزل ؛ كان يحتوى على كنز من المال ؛ عثر عليه اللصوص على هذا الكنز ، لم تؤد إلى نتيجة وتوقف البحث عنه منذ أمد طويل ولم ينكر يكن ليهتم بالموضوع كثيراً ، فلديه زوجة نشيطة عاملة ؛ تشرف على كل شىء فى المنزل ، وتديره أحسن إدارة كما تعتنى بزوجها كل العناية وتقدم له وجبات الطعام ، فى أوقاتها المعينة ، وهذا كل مايريده بنكر وماذا يهمه أمر الكنز المدفون فى المسكان ، طالما أنه يجد خير الشراب وأجود الطعام ، وكان يعتقد أنه لو عثر على الكنز حقاً لحار فى أمره وكيف يتصرف فيه إلا سارعت زوجته لمساعدته .

« وكان بين القصص المنتشرة عن المنزل بكستاون ؛ قصة تتناول أحد الأشباح ، فكثيرا ماسمعت أصوات غريبة فى الغرفة التى مات فيها صاحب المنزل السابق ، وهذه الأصوات تشبه الأنين والنوح ؛ وكل ما يشير إلى وجود الأشباح ؛ ولهذه الأسباب جميعها ، فقد هجرت الغرفة المذكورة ؛ منذ أمد طويل ؛ ولم ينم فيها الشاب .

« وسمعت باهتمام زائد بأمر هذه الغرفة التى تقطنها الأشباح ، فحزمت أمرى على التحقيق فى شأنها ، والتثبت منها ؛ وقررت أن أنام فيها تلك الليلة وأرى بنفسى كل ما يمكن رؤياه فيها ؛ وأبلغت بنكر

بعزمى ، فهز رأسه وكتفيه ؛ ولكنه بدلا من تحذيرى والانهيال على بمختلف أنواع الاحتجاجات ؛ كما كنت أتوقع تناول غليونه من فمه ؛ وبصق لعاباً أصفر ؛ من تبغ القذر الذى يدخنه ؛ ثم هتف صارخاً : « وجـــين » ، وظهرت زوجته ، وأشار إلى ؛ بأن اسوى الموضوع مع « السيدة العجوز » ، وعرضت عليها أجراً للغرفة ؛ فاقتنعت ، ومضت تعد لى السرير فى تلك الغرفة المشؤومة .

« وودعت الاسرة فى الساعة التاسعة من تلك الليلة ، وحملت مصباحى فى يدى ، ثم صعدت السلم الحلزونى ؛ ودخلت إلى غرفة الأهوال ؛ وكان الجو ثقيلا فى الغرفه ، والرائحة العفنة ؛ تملأ جميع نواحيها ، ومع ذلك فقد أغلقت الباب بالمزلاج ، وسرعان ما كنت فى سريرى ؛ وحصنت نفسى بالوسادة من كل ناحية ؛ وأعددتها لاستقبال الشبـــح .

« وتطلعت إلى السقف ، الذى كان فى يوم ما أبيض اللون ؛ فرأيت القذارة تملؤه . والعناكب ، قد أقامت لها مساكن وأعشاشاً فيه وكان ضوء المصباح المتأرجح . يلقى ظلالا ؛ مهتزة على الجدران وعلى السقف ؛ متراءى وكأنها أهرامات من المرئيات ؛ تفرغ بوجودها العناكب ؛ وبدت الغرفة جميعها ؛ وكأنها شبح واحـــد مرعب ؛ ولا سيما العقل كثير التصورات والخيال .

« وانتظرت طويلا . ومضت الساعات تلو الساعات . والشبح لا يأتى . وخيل إلى أن الشبح يخشى ضوء مصباحى فأطفأته ؛ ولم أكد

اطفؤه ؛ وأجلس فى فراشى ثانية حتى رأيت يداً بيضاء تمتد من الباب ثم رأيت قواماً كاملا ، إذن فقد جاء الشبح أخيراً ، أنه شبح يرتدى البياض .

« وقد دخل هذا الشبح رأساً من الباب ؛ وعلى الرغم من أغلاق الباب ؛ وأخذ يتقدم من السرير ؛ ومد الشبح يده الطويلة البيضاء نحوى ؛ وأشار باصبعه المعروق إلى . وقال بلهجة الآمر :

— تعالى معى ! » . ثم دار الشبح على نفسه ، واتجه إلى الباب ؛ بينما قفزت التوى من السرير اتبعه ؛ وكانت ثمة قوة خارقة غير منظورة ؛ تجبرنى على طاعته .

وانفتح الباب ؛ وقادنى الشبح فنزلنا الدرج ؛ ومررنا بقاعات طويلة إلى المستودع ، ثم اجتزنا أروقة سرية ، تحت الأرض ؛ وبطأنا نصعد من جديد وندخل فى غرفة لنخرج من أخرى ؛ ما كنت لأحلم بوجودها فى ذلك المنزل المتهدم ، وأخيراً مررنا بباب صغير فى المؤخرة ، وتركنا البيت وأنا ارتدى ملابس النوم . ولكن لا بأس فى ذلك . فقد تحتم على أن الحق بالشبح .

« ومضى الشبح الأبيض يخطو بطىء متزن . وبهدوء يشبه الموت . يقود الطريق إلى الحديقة وهناك . تحت شجرة ؛ فى نهاية البستان ؛ أشار الشبح إلى الأرض ؛ وقال بنفس اللهجة الآمرة التى استعملها أولا :

« ستجد هنا كنزا كبيرا مدفوناً » .

« واختفى الشبح بعد ذلك ، ولم أر منه شيئاً ، ووقفت فى مكانى وجميع أوصالى ترتجف ، وعندما تمكنت من استعادة رباطة جأشى ، شرعت فى حفر الأرض ، ولكن برودة هواء المساء ، وخفة ملابس النوع التى كنت ارتديها ، جعلت مثل هذا العمل المجهد أمراً مستحيلا ، وهكذا فقد قررت أن اترك علامة فى المكان تميزه لى فى الصباح ، عازما على العودة لاستئناف الحفر فى ضوء النهار ، وتقدمت إلى الشجرة فقطعت فرعاً منها ، وعدت إلى غرفتى فنمت نوماً عميقاً ؛ وقد اجهدنى العمل فى تلك الليلة وظلت على اغفائى ، حتى ساعة متأخرة من الصباح ، عندما صحوت على قرع عنيف على باب غرفتى ، وعلى صوت يقول أن الظهيرة قد حلت .

« كنت معتزماً مغادرة نزل بكستاون فى ذلك النهار ولكن حوافز الفضول والطمع ، والرغبة فى البحث والتفتيش ، دفعتنى جميعها على فك الرباط عن امتعتى ؛ وتقرير البقاء مدة أطول .

« وعليكم أن تدركوا ؛ أن هذه التجربة كانت لى الأولى من الأشباح ، وخفت أن لا أعثر فى حياتى على شبح آخر .

« ورأيت السيدة تقوم على خدمتى عند تناول الفطور ؛ بصمت وسكون ؛ مع اننى رأيتها تتطلع إلى ذات مره بتعبير غريب يلوح فى عينيها . وأرادت أن تسألنى كيف قضيت ليلتى . ولكننى . لم أشبع فضولها فلم انطوع . بالحديث كلمة واحدة .

« ولكن صاحب النزل كان أكثر ثرثرة فقد قال : اعتقد أنك

لم تنم وقتاً كافياً .

وقلت اسأله : لماذا ؛ هل سمعت شيئاً ؟

— أجل ؛ لقد سمعت ؛ ولكنك لم تزعجنى على كل حال فقد كنت أعرف أنك ستلقى بعض المتاعب عندما تدخل إلى تلك الغرفة لتنام .

« وانسللت بعد ظهر ذلك اليوم إلى الشجرة . وكم كانت دهشتى عظيمة عندما لم أعثر على الفرع الذى قطعته من الشجرة وأخيرا وجدت تحت الجزع الأسفل لشجرة تفاح ، مكاناً خالياً ؛ وكأن غصناً صغيرا قد انتزع منه . ولكننى عندما تطلعت إلى أشجار التفاح الأخرى وجدت أنها تظهر فى نفس المظهر .

« وقلت أحدث نفسى لا شك فى أن هذا الأمر غريب الغاية ولكننى سأقرر الامر هذه الليلة .

« وأدعيت التعب تلك الليلة ؛ وتظاهرت بالرغبة فى النوم ولم تبد على صاحب النزل وزوجته أية رغبة فى التساؤل ؛ بل أعدا لى السرير مبكرين .

« وقال صاحب النزل : أتنوى التجربه مرة ثانية ؟

« فقلت : أجل ؛ وسأظل طيلة الشتاء ولكن ؛ على أى شىء سأحصل من هذا الشبح .

« وتركت المصباح يشتعل تلك الليلة . حتى منتصفها . فاطفأته .

« ورأيت الأصبع المعروق يشير إلى من جديد ». والصوت يهمس : « اتبعنى » ، وقفزت من السرير . ولكن الشبح : وثب أمامى فتبعته راكضاً عبر الباب ، وهبطت السلم . وعندما وصلت إلى نهايته ، امتدت يد خفية فأمسكت بقدمى ، وسقطت متدحرجاً إلى الأمام .

ولكننى وثبت على قدمى بعد ثانية واحدة ، لاحقا بالشبح : وكان قد سبقنى بضع ياردات ، ولكننى أسرعت فى ركضى وعندما وصلنا إلى الباب الخارجى كنت المس ملابسه الفضفاضة . وشعرت بقشعريرة تسرى فى جسدى ، وكنت أعدو عن مطاردته .

« وعندما مر الشبح بالباب . والتفت إلى ، ولمست فى عينيه نفس النظرة الشريرة التى عاشت فى ذاكرتى منذ الليلة السابقة .

« وشعرت بالثقة ، فى أننى سأمسك بالشبح داخل الحديقة ، ولكن يبدو أنه لم يكن يعتزم السماح لى بهذه الفرصة وكم كان رعبى شديدا ، عندما رأيته يتراجع إلى الخلف ، فيدخـــل البيت لاطشا الباب فى وجهى .

« وجمعت كل ما فى نفسى من خوف وألم ، وقذفت بجسمى على الباب الخشبى . بكل ما لدى من قوة ، فاذعن لدفعتى .

ووجدت نفسى فى الغرفة الأمامية للمنزل ، وقد انسل الشبح أمامى صاعدا السلم .

« وطرت وراءه ، حتى وصلنا غرفة خارجية ، فرايته قد انكمش فى زاوية منها وقد حصل على قنديل مشتعل ، وتقدم منى عندما دخلت الغرفة ليدخل الرعب فى نفسى بيده المعروفة التى امتدت إلى .

« وصرخت وأنا أضع ذراعى حوله : « لقد أمسكته » . وبالفعل فقد وجدت شبحا حقيقيا .

« وسقطت الأردية البيضـــاء ، ورأيت أمامى امرأة صاحب المنزل .

« وعندما هددتها فى الصباح التالى باستدعاء الشرطة اعترفت لى بأنها كانت تتنكر فى زى الشبح لتجتذب المسافرين إلى النزل ، فقد وجدت فى الشائعات القائلة بأن العفاريت تقيم فيه تجارة مربحة .

ها هم قد أخذوا الجثة الآن وها نحن ننظر إلى رجال الإطفاء ينظفون آثار الدماء السائلة على الأرض قرب البناية الطبية .

وقال السرجان ان :

— لم يرد أحد يسقط ولكن هناك شخصين فقط سمعاه .

— هل صرخ .

— كلا . ولكن صوت ارتطامه كان كما لو أن وعاء ملوءا بالماء سقط على الأرض أيها الضابط لقد أحدث ضجة كبيرة كانت السيدة كورين وزوجها يمران من هنا ساعة الجادثة فاغمى عليها عندما شاهدته .

الأنوار الكشافة تنير المشهد حيث كان الاطفائيون يعملون ،ودرت سوال مجموعة من الأنابيب ورفعت رأسي لأتفحص جهة البناية المؤلفة من خمس طبقات .

وسحب ان نفسا من سيجاره وقال :

— عندما يسقط أحدهم ليس أمامه إلا اتجاها واحدا ممكنا وهو الخط المستقيم العامودى . فاذا لم يكن سقط من السطح فلابد أن يكون من أحدى تلك النوافذ الثلاث فى الخامس او الرابع أو الثالث . فهو لم يسقط من علو أقل من هذا وإلا لما كان على هذه الحال .

— حسب الأوراق الموجودة فى محفظته يدعى نورموند فريزر وهذا كل ما نعرفه عنه تقريبا .

وأقترب منا رجل باللباس المدنى بعد أن اجتاز بقعة من الماء على رؤوس أصابع رجليه وقال :

— أنه لم يسقط من السطح :

— ما الذى يدعك تقول هذا .

— لا يوجد سوى باب واحد للسطح وهو مقفـــل بالمفتاح والمفتاح لا يوجد إلا مع الوكيل والحارس فقط .

— ربما استحصل على مفتاح آخر !

— لا يبدو الأمر كذلك فعلى السطح توجد طبقة كثيفة من غبار الفحم فلو أنه صعد إلى هناك ! كان ترك آثار أقدامه الشىء الذى ليس له وجود .

وذهبت وأخذت أحد المصابيح الكاشفة ووجهته نحو البيت .

وقال ان :

— عندما وصلنا كانت النوافذ فى الطابق الخامس والثالث مفتوحة وبعض الناس يطلون منها أما نافذة إلى أخرى ومشى على أفريز ما والنور فيها مطفأ كما هو الآن .

- ألا يمكن أن يكون قد مر من نافذة أخرى ومشى على أفريز ما ، قبل أن يسقط فى الفراغ .

— لا يوجد أى « أفريز » ، ولا يمكنه أن يمسك بافريز النافذة ويصعد منها ثم يغلقها وراءه لأن عرض الافريز لا يبلغ سوى عشر سنتيمترات فقط .

والقيت نظرة على ساعتى ، فأنا لم أكن فى الخدمة عندما سمعت بالحادثة من راديو سيارتى وقلت : أظن أنك تستطيع القيام بالمهمة محلى يا مرجان. أن زوجتى تنتظرنى وساكون فى البيت إذا احتجت إلى.

وصعدت إلى السيارة وتوجهت نحو البيت الذى أسكن فيه .

كانت زوجتى مافيس تتصفح إحدى مجلات الأزياء عندما دخلت. وبعد أن رفعت نظرها إلى قالت : « لقد تأخرت » .

واحنيت لأقبلها فقالت وهى تقلب الصفحة: تناولت طعامى باكرا. أن بولى تركت لك شيئا فى الفرن .

وذهبت الى المطبخ ووضعت قطعة اللحم المشوية على الطاولة وإذا بمافيس تصل إلى الباب وتقول لى : سنذهب : لزيارة آل ديسون هذا المساء ، لديهم اجتماع صغير ولا شىء خصوصى .

وتساءلت فى نفسى فيما إذا سيكون فيليب تومبسون موجودا - أنه طبعا يعرف مافيس ستكون هناك .

— عندما تكون هناك حاول أن تظهر كأنك تتسلى . قالت لى مافيس .

ونظرت إلى هيئتها البنفسجتين . كنت أشك تماما فى اهتمامها بتسليتى أو عدمها .

وقالت لى وهى تتفحص أظافرها :

— لا تتأخر . لقد وعدتهم أن تكون هناك فى الساعة التاسعة .

كان الجو عند آل ديسون يلطفه وجود عشرة أشخاص عندما وصلنا . وبعد أن أخذت كأسى ذهبت إلى زاوية أركن اليها .

وإذا بالسيدة ديسون تمر بى تطوف بمدعويها وتقول لى .

— ألم تقع أية حادثة مهمة فى هذه الأيام الأخيرة ؟ حادثة تبعث الرعب أو تقشعر لها الأبدان ؟

— كلا . بعض الحوادث العادية فقط .

وانتقلت إلى غيرى .

وأمضيت السهرة وأنا أراقب فيليب تومبسون ومافيس . لم يكونا يتكلمان مع بعضهما إلا نادرا ولم يلاحظ أحد تجاهلهما كنت أعرفه عنهما .

فى صباح اليوم التالى عندما وصلت الى مكتبى جاء التحرى بروك وأخبرنى بالتفاصيل إليها ألن وتركها لى قبل أن ينزلا الخدمة من خرائط الطوابق ، الثالث والرابع والخامس كانت هى نفسها . وكل نافذة

تهمنا من تلك النوافذ هى نافذة غرفة الانتظار فى عيادة أحد الأطباء.

وبعد أن لقى نظرة على الملف فى حده تابع : الطابق الثالث . الدكتور أبرام — طب داخلى . كان عنده ثلاثة مرضى مع الممرضة وقت الحادث . كانت الساعة السابعة والربع . أنهم يقسمون جميعهم بأنهم لم يشاهدوا أحدا يسقط أو يدفع على نافذتهم . كما أنهم لم يسمعوا شيء بواحد اسمه نور موفد فريزر من بعد .

وبعد أن قلب الصفحة تابع . الطابق الرابع .. الدكتور ورنر . جراح فى طب الأسنان لم يكن عنده أحد فى المساء . دن النور مطفأ عنده والأبواب مقفلة بالمفاتيح .

— ربما يكون فريزر قد دخل بطريقة ما إلى هناك .

— لم نجد أى مفتاح على جثته كما وأننا لم نجد أى باب للدكتور ورنر مخلوعا أو مكسورا .

— وإذا كان أحد قد أدخله ثم قذفه من النافذة وأغلقها وأغلق الباب وقفله بالمفتاح بعد أن ذهب ؟

— لم نجد على مسكة النافذة سوى بصمات الممرضة فقط ولا شيء غيرها .. وفى ساعة الحادث كانت على بعد ١ كيلو مترات تتناول الطعام عند ذويها مع بعض الأصدقاء . وقد تحققنا من ذلك .

— إلا يجوز أن يكون أحد الأشخاص قد فتح النافذة وهو يلبس قفازا فى يده ؟

— فى هذا الاحتمال لابد أن يكون قد طمس بعض البصمات قصدا وقدرا . والبصمات جميعها واضحة جلية وبحالة جيدة .

— إذن لم يعد أمامنا سوى الطابق الخامس .

وأكمل بروك القراءة : الدكتور جافن متخصص فى الرأس . كان عنده فى الساعة والربع أخذ الذبائن والممرضة فى غرفة الانتظار ، لم ير أحد منهما أى شيء كما أنهم لم يسمعوا مطلقا بفريزر من قبل .

— أين كان الدكتور جافن ؟

— لم يصل إلى العيادة إلا فى الساعة السابعة والنصف .

— هل كان تور موند فريزر يملك سيارة ؟ وإذا كان ذلك هل كانت تقف فى الحى .

— نعم وكانت فى الموقف وراء البيت ؟ . وقد جاء بها .

— هل شاهده أحد يدخل إلى البيت ؟ عامل المصعد مثلا ؟

— كلا لم يشاهده أحد . فالمصعد أوتوماتيكى .

ثم تناول بروك تقرير الطبيب الشرعى وقال : أن الطبيب يظن أنه سقط أو دفع من الطابق الخامس أو من السطح .

— أن السطح خارج عن الموضوع .

ولكن بروك كان قد قام بأكثر مما كنت أظن عندما قال لى : لقد استدعيت زبون الدكتور جافن وممرضته أما الزبون فيدعى

موص هوول والممرضة كلارا نيفنس ، هل تريد أن أبقى بينما تكون تتحدث معهم ؟ .

ـــ لا لزوم لذلك . إنما أرسل لى أحدهم وأنت تخرج .

كان هوول رجلا ضخما . وجلس على المقعد بتحفظ وقال : انى لم أسمع أبدا باسم تورموند فريزر قبل أن يذكره أمامى أحـــد رجالك .

وبعد أن تركته يشعل سيجارة سألته :

فى أية ساعة دخلت إلى غرفة انتظار الدكتور ؟

فى الساعة الساعة إلا عشر دقائق . كان موعدى معه فى السابعة والربع ولكنى أحب الحضور قبل الوقت بقليل .

ـــ هل كان باب الغرفة مغلقا ؟

ـــ كلا .

ـــ هل كان أحد غيرك فى الغرفة ؟

ـــ كلا لم يكن أحد هناك .

ـــ متى وصلت الممرضة ؟

ـــ بعد حوالى خمس دقائق تقريبا ،

ـــ هل كان الطبيب فى غرفته ؟

ـــ كلا . كنت أظن أنه كان فيها غير أنه لم يكن .

ـــ ولماذا ظننت أنه كان هناك ؟

ـــ كانت قبعته معلقة فى المشجب .

وكيف عرفت أنها كانت قبعته .

ـــ لأنه بعد أن وصل فى الساعة السابعة والنصف بعد الحادثة أمسكها وأخذها إلى غرفته .

واستلقيت قليلا إلى الوراء مقعدى .

ـــ لقد قلت أن الممرضة وصلت بخمس دقائق بعدك تقريبا . فماذا فعلت .

ـــ ذهبت إلى غرفة الطبيب وحاولت فتح البـــاب . لقد كان مغلقا وقالت لى : أن الطبيب سوف لا يتأخر وقد يصل بين دقيقة وأخرى .

ـــ ماذا فعلت أنت بعد ئذ .

ـــ أخذت إحدى المجـــلات وابتدأت بمطالعتها بينما أخذت هى تقلب بعض الأوراق ، وفى الساعة السابعة والعشرين دقيقة تقريبا سمعنا صوت صفارة الأسعاف وتوقفت أمام النيابة تماما ، وتقدمت الآنسة نيفنس وفتحت النافذة وانحنيت منها لارى ؛ وشاهدنا الناس يتجمعون حول جسد ذاك الرجل : وكنا مازلنا على النافذة عندما وصل الدكتور جافن بعد بضع دقائق وسألنا ماذا حدث . ثم أخذ القبعة وفتح باب غرفته ودخل ؛ وبعد عشر ثوان تقريبا خرج منها ولحقنا إلى النافذة .

— هل يوجد مدخل آخر لغرفة الدكتور ؟

— أظن ذلك .

وبعد أن انتهيت من هوول استدعيت كلارا نيفس . كانت قصيرة القامة ، ذات عينين سوداوين . قالت :

تناولت طعامى وعدت فى نحو الساعة السابعة إلا خمس دقائق .

— هل كان يوجد أحد فى غرفة الانتظار ؟

— نعم السيد هوول .

— ماذا فعلت بعد وصولك ؟

— حاولت أن أفتح باب غرفة الدكتور ولكنه كان مقفلا بالمفتاح ولم يكن قد وصل بعد .

— منذ متى تعين عند الدكتور جافن ؟.

منذ شهر تقريبا لقد تركت الممرضة التى كانت قبلى لتتزوج .

— أى نوع من الأشخاص هو الدكتور جافن ؟

وترددت قليلا وتورد خداها وأجابت :

— أظن .. كان فى بعض المرات يرفع الكلفة .. ولم أكن أحب ذلك منه ؛ وقلت له : أنا لا أريد هذا . فلدى خطيب .

وخبطت قليلا بأصابعى على المنضدة أمامى وسألتها . هل كان الدكتور يلبس قبعة !

وبدأ عليها أنها تعجبت قليلا من السؤال ؛ وقالت : ولماذا ، كلا ،

لا أظن أنه يلبس قبعة . على كل حال لا أذكر انى رأيته يلبس قبعة .

وعندما خرجت عاد بروك إلى مكتبى .

— هل اكتشفتم شيئا جديدا ، سألته .

— يحوز . ماذا تعرف عن تورموند فريزر .

— أنه يعمل فى البناء وهو ناجح فى أعماله متزوج منذ ثلاث سنوات للمرة الأولى . عمره حوالى ٤٥ سنة .

وقصدت لكى أتناول غدائى مطعم لوكو حيث اخترت طاولة فى الشرفة المطلة على الصالة . كان باستطاعتى مشاهدة ما يجرى فيها دون أن يرانى أحد .

ولم تمض عشرون دقيقة حتى وصلت زوجتى وفيليب تومبسون وجلسا على طاولتهما المعتادة تحتى تماما وطلبا كأسين ؛ لقد رأيت يدها بيده وهى تبتسم له بحنان ؛ ثم بعد برهة أطلقا ضحكة ، وتساءلت فيما إذا لم يضحكا بخصوصى ..

بعد أن ذهبا فى الواحدة والربع قمت ودفعت حسابى وتوجهت رأسا إلى البناية الطيبة .

كان الدكتور جافن طويل القامة ذا نبضتين قويتين ولم يكن ينظر إلى الوجه محدقا . بعد أن أدخلنى إلى غرفته وأغلق الباب خلفى قال ؛ ماذا يمكننى أن أخدمك أيها الملازم فقلت له :

— هل تعرف تور موند فريزر .

— الرجل الذى قتل مساء أمس ، كلا ؛ انى لا أعرفه .

— ألم يكن من أحد زبائنك .

— كلا .

— فى أى وقت وصلت إلى مكتبك مساء أمس .

— فى حوالى السابعة والنصف .

وألقيت نظرة حولى فى الغرفة ، لم يكن هناك أى أثر لمشجب ولا لأية قبعة وبعد أن أشرب إلى الباب عن بعض قلت له :

— أن هذا الباب يفتح على السلم وأسا .

وبدأ على الطبيب أنه أخذ يعرق قليلا ، وقال : نعم ولكنى لا أستعمله إلا فيما ندر ، فمن عادتى أن أمر من باب غرفة الانتظار لأرى فيما إذا كان يوجد زبائن أم لا ؛ غير أنه فى بعض الأحيان أضطر لاستعماله لإدخال بعض الزبائن الذين يكونون فى حالات اضطرارية .

— هل تصل دائما فى الساعة السابعة والنصف ؛ أظن أنى قد فهمت من السيد أموس هوول بأنه كان لديه موعد معك فى السابعة والربع .

ونبض رماه السيجارة عن كمه وقال :

— انى أحاول دائما الوصول فى الساعة السابعة ؛ غير أنى توقفت أمس لأتناول فنجانا من القهوة والسندوتش فى أحد المقاهى فى الطرف المقابل للشارع .

— عندما وصلت إلى هنا لم نسمع صفارة الإسعاف ؛ ولم يدهشك ذلك .

— نعم لقد سمعت الصفارة ، ولكن نظرا لوجود مستشفيات عدة فى الشارع أصبح ذلك أمرا عاديا بالنسبة لى .

— ألم تلاحظ تجمع الناس ؟

— لقد وصلت من الشارع الثانى ولم ألاحظ أى شىء غير عادى . وصعدت وعندما وصلت إلى العيادة رأيت الآنسة نيفلس وهوول منحنيين على النافذة .

حاولت أن أكلمه عن القبعة ؛ ولكنى تراجعت وفضلت تأخير ذلك حتى أعرف عنه أشياء أخرى ؛ وودعته وأخذت المصعد ونزلت منه فى الطابق الأرضى ؛ ووجدت هناك صيدلية قرب المدخل دخلت إليها ؛ فقد بدأ لى من المعقول جدا أن جميع وصفات أولئك الأطباء فى الأدوار العليا لا بد وأن تشترى من هذه الصيدلية .

وبعد أن طلبت الدير وأطلعته على اشارتى قلت له : أحب أن ألقى نظرة على دفتر السجل .

— عن ماذا تريد أن أفتش لك ؟

— عن اسم فريزر .

وأشعلت سيجارة وأتبعتها بأخرى قبل أن يتوقف فى إحدى الصفحات ويقول :

— انظر هذا : فريزر . رستورينول .. نقط للاذن . هل تريد التاريخ .

— من صاحب الوصفة .

— الدكتور جافن . أن عيادته فى الطابق الخامس ؛ وبعد أن القى نظرة أخرى على الصفحة تابع : أنها أخـــذت هذه الوصفة منذ أربعة أشهر تقريبا .

وسحبت السيجارة من فمى ؛ وتمتمت : من هى أنها ..؟

وأجابنى : أقصد السيدة فريزر .

وذهبت إلى التليفون فى الردهة لقد تذكرت شيئا اخرا . وطلبت زوجتى ؛ وعندما أجابتنى قلت :

— ألو مانيس ، أن بعض أصدقائى من الفقر العام سيذهبون لقضاء عطلة الأسبوع فى الريف وقد أصروا على لكى أذهب معهم فما رأيك؟

وبعد صمت قليل أجابت :

— فى أى وقت ستذهب ؟

— ستجتمع كلنا عند الملازم أوبريان فى الساعة التاسعة .

— ومتى ستعود !

— نهار الأحد مساء وربما ستتأخر ،. هل أنت متأكدة من عدم ازعاجك لهذه الرحلة ألا تشعرين بالوحدة والضر .

وتساءلت فى نفسى فيما إذا كانت لم تبتسم من الاشفـــاق على

وسمعتها تقول .

— كلا . انى اتضجر فسأذهب لزيارة بعض الصديقات .

ووضعت السماعة مكانها وأخـــذت الدليل وفتشت عن عنوان تورموند فريزر ؛ وذهبت إلى بيته .

كانت هيلين فريزر ذات عينين خضراوين . واستقبلتنى وعلى شفتيها ابتسامة حلوة أنها تبدو كأنها لم تتأثر لفقدها زوجها فالقضية تبدو بالنسبة لها كانها قضية عادية لا تستحق الحزن والتأثر . وقالت :

— اجلس أيها الملازم . هل أقدم لك شيئا .

— كلا شكرا . هل تتكرمين وتقولين لى من كان طبيب زوجك

— أنه الدكتور براد فورد وعيادته فى عمارة استانلى .

— هل كان زوجك يعرف الدكتور جافن .

واهتزت هيناها قليلا قبل أن تجيب :

— أنه لم يذكر هذا الاسم مطلقا .. ولم أسمعه أبدا يتحدث عنه من قبل .

وقلت فى نفسى . يا للماكرة ولكنى سألتها :

— هل تعرفين السبب الذى ذهب زوجك من أجله إلى العمارة الطبيـــة .

— كلا . أبدا .

— هل كان مريضا . أو يشعر بشىء .

سيستطيع الإفلات والهرب فى هذه السرعة .

— هل أمر عليك لآخذ الإذن ؟

— كلا . أنها دورة كبيرة عليك وسأذهب بسيارتى واتركها عندك فى الجراج .

ولكنى تساءلت فى نفسى فيما إذا كنت سأراه هذا المساء . لأن كل شىء يتوقف على ما سيحصل أو على الذى لن يحصل ..

وأمضيت بقية النهار فى مكتبى أفكر فى قضية فريزر وأقلبها من جميع الوجوه واستعرض الأشياء التى أعرفها والتى يجب أن أوضحها وأثبتها . وفكرت بأن الأشياء حصلت هكذا .

لقد حصلت مغامرة بين جافن وزوجة فريزر وبعد أن علم بها هذا الأخير ذهب إلى عيادة الطبيب قبل وصول هوول والممرضة نيفنس وطبعاً وجد الدكتور وحده وحصلت مشادة بينهما وتعاركا فى النهاية وقتل جافن فريزر .

ولكن هنا اعترضت الدكتور مسألة الجثة ، فكيف يجب اخفاؤها والتخلص منها ؟ أنه لا يستطيع حملها على السلم . إذ سيشاهد حتماً أحد الأشخاص وها أن الممرضة نيفنس ستصل بعد بضع دقائق . فما العمل ؟

إذا كانت الجريمة حصلت فى غرفة الانتظار فقد عمد طبعاً إلى سحب الجثة إلى غرفته الخاصة وأقفلها بالمفتاح بعد أن سمع هوول

وبعد أن أخذت سيجارة من علبة أمامها قالت :

— كلا . على حد علمى .

— هل تعرفين سبباً ما يجبره على الانتحار .

— وهل كان ذلك انتحاراً .

— اننا لا نعرف حتى الآن .

— وإذا لم يكن كذلك .

— يجوز أن يكون حادثاً . ندرس القضية من جميع الوجوه .

وأخذت تنظر إلى باهتمام تزايد وشعرت بأنى لو لم أكن فى وظيفتى وأحقق معها فى قضية موت زوجها لكانت اقتربت منى أكثر فى جلستها ولكانت لصقت بى ..

— بل كان زوجك يحمل بوليصة تأمين .

ولاحت على شفتيها ابتسامة خفيفة وقالت :

— كانت بقيمة ٥٠ ألف دولار ، غير أنه يساوى أكثر من ذلك بكثير . أنه يساوى عشر مرات أكثر .

وبعد أن نهضت قلت لها :

— إلى اللقاء . قد أعود ثانية .

وأجابتنى وهى تبتسم : طبعاً .

جاءنى الملازم بروك فى المقر العام وقال لى : أمازالت مصمماً على الذهاب هذا المساء أم أن تلك القضية ستجبرك على البقاء فى المدينة ؟

— كلا باستطاعتى تأخيرها يوماً أو يومين ، فلا أظن أن أحداً

يدخل ، وبعد بضع دقائق أيضا سمع الممرضة تدخل ، وفى هذه الحاله وجد نفسه مسجونا فى غرفتة مع جثة فريزر . فهل يجب أن يترك المكان بصعب وهدوء ويذهب ليقصل من إحدى غرف التليفون العامة بالآنسة فيفنس ويقول لها أنه لن يتمكن من الحضور إلى العيادة ويجب أن تلغى الموعد ثم يأتى بعد ذلك فى الصباح الباكر قبل مجىء أحد ويتخلص من الجثة ؟

ولكنه عاد وتذكر بأن خادمات البناية تحمل كل واحدة مفتاحا ثانيا لجميع المكاتب . أفلا يجوز أن تكتشف واحدة منهن الجثة قبل مجيئه ؟

ولكن لماذا لا يليقيها من النافذة ؟ وفى هذه الحال لن يتاخر البوليس ويعرف من اية نافذة القيت وسيوضع تحت التحقيق وطبعا لن يطول الأمر ويكتشف البوليس علاقته بزوجة فريزر . غير أنه فى النهاية جاءته فكرة هتاك طريقة ليدع البوليس يظن بان فريزر سقط من نافذة أخرى غير نافذته .

وعندما وصلت إلى هذه النقطة من تفكيرى ابتسمت بمرارة . ولكن ما هى تلك الطريقة ؟ وبعد أن فكرت قليلا قررت ترك ذلك إلى أن ياتى وقتها .

إذن لقد رتب جافن عملية القاء الجثة ، وترك مكتبه بصمت وهدوء دون أن يحدث أية ضجة وخرج من الباب الخارجى . وابتعد قليلا

وضيع بعض الوقت . وبعد أن سمع صفارة الأسعاف عاد إلى عيادته وشاهد الآنسة تيفنس وهوول ينحنيان من فوق النافذة ولكنه شاهد شيئا اخرا أيضا ، لقد شاهد القبعة ، قبعة فريزر المعلقة فوق المشجب فاخذها إلى غرفته .

كما وانى استعرضت وجهات نظر أخرى : هل كان جافن وزوجة فريزر على اتفاق لإغتيال هذا الأخير ؟ إن هذا لم يبد لى أمرا معقولا ، فلو أنهما اتفقا على ذلك لما كانا طبعا اختارا عيادة جافن بالذات .

ولكن هل أخبر غافن زوجة فريزر بالأمر ؟ انى أشك فى ذلك أيضا . إذ انه لم يكن بحاجة مطلقا لأخبارها وزيادة المخاطر التى قد يتعرض لها وهو بغنى عنها .

هل كانت تلك الزوجة تشك أو على علم بالواقع ؟ يجوز ، ولكنها طبعا ليست مستعدة للذهاب إلى البوليس ، فعلى ما يبدو لم تهتم لموت زوجها بل تلقت النبأ بكل برودة وعدم اكتراث ، ولو افترضنا أنها تاثرت قليلا فهناك قضية الميراث الذى سيحزها حتما .. وإذا ذهبت إلى البوليس فانه سيكشف علاقتها بجافن ولا أظن أنها تريد ذلك بحال من الأحوال ما دامت قادرة على اخفاء الأمر .

وبعد أن ألقيت نظرة على ساعتى جمعت كل أوراقى ووضعتها فى درجى الخاص وأقفلته بالمفتاح .

وشاهدتنى مافيس فى ذلك المساء أعد أو متعة الصيد وأضعها فى حقيبتى .

وقالت لى :

— ألا تريد أن تلبس ثياب الصيد ؟

كلا ليس الآن على أن أدهب إلى المكتب لأوقع بعض المعاملات وسأغير ثيابى عند أوبريان .

وأخذت الحقيبة وبندقيتى وقلت :

— إلى اللقاء يا ملاكى ..

وكادت أن تهز بكتفها غير مبالية وهى تقول : تمتع بوقتك جيدا ولا تبالى .

ووضعت الحقيبة فى صندوق السيارة الخلفى وذهبت ، ولم أبتعد سوى صفين من البيوت وتوقفت هناك ، وأخذت أنتظر .

لم تمض نصف ساعة حتى رأيت سيارة فيليب تومبسون تتوقف أمام منزلى ، أن ما فيس كانت تنتظره أيضا .

وخرجت وهى تحمل حقيبة سفر صغيرة .

وتبعتهما عبر المدينة حى من الأحياء الشرقية على الضفة الثانية من النهر ، كانت البيوت هناك عتيقة قديمة والشوارع قذرة وغير منارة تقريبا ، وأوقف سيارته فى موقف وراء نزل صغير حقير نظر ، وأوقفت سيارتى أنا فى الظل على بعد قليل ، وأخذت أراقبهما ، لقد استدارا حول النباية ودخلا إلى المنزل ، نعم أخذت أراقبهما ، اسمع أيها القارىء ، انك طبعا تعرف حالتى النفسية فى موقف هكذا ، غير انى كنت جامد الأعصاب ، جامد القلب ، جامد العاطفة ، وأشعلت

سيجارة ودخنتها ، ثم أتبعتها بثانية وأخذت مسدسى من وسطى ، أنه عيار ٢٨ وهو رفيقى الأمين فى الملمات ولم يخيب ظنى أبدا ، كان محشوا بكل طلقاته ، وقلت فى نفسى : طلقتان فقط تكفيان ، ولكن هل سأضطر لاستعمال الثالثة لدماغى انى لم أفكر فى ذلك مطلقا .

وذهبت إلى المنزل ودخلت ، كانت تهب منه رائحة الرطوبة ولم أجد أحدا فى مكتب الاستقبال ، فالموظف الليلى كان حتما قد ذهب إلى مكان ما ليأخذه فنجانا من القهوة ، والقيت نظرة على السجل . لقد سجلا نفسيهما تحت اسم السيد والسيدة شارل سوسون ، الغرفة رقم ٤٠٦ ..

القيت نظرة على ساعة الحائط القديمة وكانت تشير إلى الثامنة والنصف ، وتوجهت نحو المصعد ؛ غير أنى توقفت وعدت ادراجى ، ونظرت إلى الساعة ثانية ولاحت على شفتى ابتسامة ؛ نعم خيال ابتسامة ، ونظرت إلى علاقة المفاتيح ؛ ولم أجد مفتاح رقم ٤٠٦ .. غير أنى رأيت مفتاح رقم ٤٠٨ غير معلقا ، وبما أنى أعرف ترقيم غرف الفنادق لأنه من أساس مهنتى ؛ عرفت أن هذه الغرفة يجب أن تكون ملاصقة له لعرفتهما .

واستدرت حول المكتب لأخذ مفتاح رقم ٤٨ ؛ غير أنى توقفت وقلت فى نفسى .. يجوز أن يتذكر أحد ما بأن مفتاح رقم ٤٠٨ قد أخذ من على العلاقة .. ولكن الحارس الليلى لا بد وأن يكون لديه مفتاح اخر لكل غرفة ويجب أن يكون مخبأه فى مكان ما .

وأخذت افتش فى درج المكتب حتى وجدت مجموعة كبيرة من المفاتيح ، وأخذت ذاك الذى كان مكتوبا عليه إلى التليفون الخاص فى الفندق والفت رقم ٤٠٦ .

وعدما أجابنى فيليب تومبسون غيرت لهجتى وقلت ألو ، تشارلى .. هنا فريد .

— فريد .

— نعم ؛ إلا تذكر بار ثولادو وقال تومبسون غاضبا :

— أسمع ، أنى لم أسمع مطلقا باسمك كما وأنى لم أذهب أبدا إلى ثولادو ، أنك مخطىء فى الرقم يا سيدى .

— ولو ياتشارلى . لا تعملها معى ، قلت له . لا تعملها مع صديق قديم ، سأصعد اليك رأسا مع قنينة كبيرة ..

— اسمع .. اسمع . قاطعنى تومبسون بكل جفاء ونشوفة ، أين أنت . من أين تكلمنى .

— أنى هنا فى ردهة الفندق .

وعرق تومبسون قائلا :

— سأنزل اليك حالا ؛ انتظر .

— وذهبت مسرعا نحو المصعد ؛ وصعدت إلى الطابق الرابع ؛ ووصلت فى الوقت المناسب كان تومبسون يفتح باب غرفته . وعبس

حاجبيه وعندما رآنى أقف أمامه وبيدى مسدسى ٣٠ واتسعت حدقتاه وغدا وجهه أبيض كالثلج ؛ اسمع يا مايك دقيقة واحدة فقط .. قال لى :

— اخرس .. ارفع يديك واستدر واتجه نحو الغرفة ٤٠٨ ولا تنفوه بأية كلمة .

وسار ببطء أمامى وهو يلتفت إلى من فوق كتفه وتبعته وفتحت باب تلك الغرفة وقلت له ، أدخل ، وقفلت ، له أدخل ، وقفلت الباب ورائى .

— اسمع يامايك ؛ سأشرح لك الأمر ، انك لا تستطيع أن .

— صه ، اصمت ولا كلمة واستدر نحو الجدار .

وأطاعنى وهو يقول : مايك ..

وأخذت مسدسى وأمسكته بتوهته وأرسلت ضربة بكل قوتى من كعبة على مؤخرة ذلك العنق ، واسلقيته ومددته بكل هدوء على الحضيض .

وذهبت إلى النافذة وفتحتها وأنا ممسك بمنديلى ورأيت تحتى السيارات تمر بفترات متباعدة والمكان خال مقفر ، وانحنيت ونظرت إلى رقم ٤٠٦ أنها لم تكن بعيدة عنى ، ومافيس ، طبعا ؛ تنتظر هناك عودة تومبسون .

وأطفأت نور الغرفة ، وسحبت تومبسون نحو النافذة ، وقلت

فى نفسى : سأتخلص الآن من جثته تماما كما تخلص الدكتور جافن من جثة فريزر .

وأصعدت تومبسون إلى حافة النافذة بعد أن وقفت على السرير وأخذت أؤرجحه فى الخارج كما تتأرجح الساعة الهزازة ، وعندما تأكدت من أن قوس الدائرة سيصل به إلى تحت النافذة المجاورة تركته .

ونظرت إليه وهو يسقط متحطما على الحضيض ؛ ثم أغلقت نافذتى وخرجت من الغرفة بعد أن أقفلتها بالمفتاح ونزلت بواسطة السلم وذهبت إلى سيارتى ؛ وبعد مدة وجيزة سمعت صفارة سيارة الاسعاف عندما كانت اتجه نحو بيت أو بريان .

بعد ثمانية أشهر تقريباً ، التقيت صدفة بالدكتور جارفن فى أحد المقاهى . وبعد أن تبادلنا التحية طلبت كأسين ؛ ثم حرك كأسه . ثم حرك كأسه قليلا وقال : هل من جديد فى قضية تورموند فريزر ؟

— كلا ؛ أن القضية فى نقطة الصفر .

— ألم تعرفوا شيئا عنها مطلقا ؟ هل كانت مجرد حادث أم انها حالة انتحار ! .. وبعد أن تردد قليلا تابع أم أى شىء آخر .

وارتسمت على شفتى ابتسامة خفيفة وأنا أقول له :

— انى لا أريد أن أفقدك ثقتك فى البوليس ، ولكن يوجد عدة حوادث لا نستطيع حل غوامضها أبدا .

وعندما انتهيت من كأسى مد يده إلى صاحب المقهى محاولا أن يدفع الثمن ، وقلت له : كلا ؛ أرجوك .. أنا الذى سيدفع .

وشربت كأسى حتى الثمالة .

نعم كان باستطاعتى حل لغز قضية فريزر وارسال جافر إلى السجن. ولكن إذا فعلت ذلك فانه ؛ حتما ؛ سيوجد من يطالب بقضية فيليب تومبسون .

وبالمناسبة لقد غيرت طبعا تقريرى وحرفته كما أريد ؛ ولم أذكر مطلقا قصية القبعة ولا قضية علاقة السيدة فريزر بالدكتور جافن فكل من قرأ ذلك التقرير لا بد وأن يستنتج بأن الحادثة وقعت قضاء وقدرا.

غير أن الدكتور سألنى بعد أن أفرغ الكاس فى جوفه .

— لقد قرأت عن زوجتك ؛ قرأت ذلك فى إحدى الصحف .

هل أنت متأكد بانها هى التى قذفت تومبسون من النافذة .

وحاولت أن أبدو له مقتنعا كل الاقناع عندما قلت لمن :

— كلا ؛ طبعا .

— ولكن بصماتها كانت على قبضة النافذة .

— طبعا ؛ بعد أن سمعت صوت صفارات سيارة الاسعاف بحث أن تكون فتحت النافذة لتنظر إلى الخارج .

— ولكن إذا لم تكن هى قد قذفته من النافذة ، أو لم يكن هو نفسه قد قفز منها فاذا تظن أن يكون قد حصل فى الحقيقة ؟

— أنى لا أعرف ذلك ، وعلى كل حال فالمحلفون قد إعتبروا أن فى الأمر جريمة .

وبعد أن نظر إلى صورتى فى المرآة فوق المقهى قال :

— أنى احترم مروءتك كثيرا للطريقة التى حاولت بها الدفاع عنها رغم أنها كانت موجودة مع رجل آخر . وبعد أن توقف قليلا وهو ينظر إلى خادم المقهى تابع : أن عشرين سنة على امرأة تحبها فى السجن لهى مدة طويلة جدا ، وعندما تخرج ستكون هى الخاسرة حتما ، وبعد قليل قال لى :

ألا تريد أن تذهب لزيارتها فى أيام الزيارات .

— طبعا قلت له ، كل شهر مرة ؛ وساحاول أن اتمتع بكل دقيقة من تلك الفترة .

نبـــوءة

توقفت ماريان لتعبر عن دهشتها كالمعتاد أمام اللافتة التى تزين واجهة المطعم : « فى هذا المكان نفسه يمكن للزبون أن يأكل وأن يكشف عن مخته .. ومثل هذا الإعلان قد يبدو مسليا فى ويستمنستر أما هنا ، فى الاسكا ، وفى خليج الدببة ، فهو يبدو سخيفا حقا .

ولفتت نظرها صورتها التى عكسها زجاج الواجهة . وهذه كانت لنفسها وهى تكشر :

— أنى أبدو أشبه بامرأة من الاسكيمو .

ثم أنها اقتربت من واقعها عندما استعادت بلذة ذكرى هذه السترة الفراء البيضاء والقبعة المناسبة لها ، اللتين أهداهما « دون » اليها وهو يلن برضا عن نفسه :

— هناك فى الشرق يترتب عليك أن تنتظرى سنوات وسنوات قبل أن يتاح لك ارتداء معطف من الفراء ، أما فى هذه البلاد الأسطورية فهى قد حصلت عليه فى الحال .

وبدالها من السعادة بحيث لم يطاوعها قلبها لتقول له أن لا مجال

أبدا المقارنة بين معطف فراء فى وستشستر من جلد الأرنب فى خليج الدببة .

ولما كان هذا المطعم القديم الطراز صالون الشاى الوحيد فى خليج الدببة أى الوحيد فى دائرة قطرها ثمانون كيلو مترا ، قررت ماريان دفع بابه الدخول ؛ بوسعها على الأقل أن تطلب كأسا من الشاى الساخن قبل انطلاقها بالحيث فى طريق العودة المحفوفة بالمخاطر ؛ وربما كانت لوسيندا كاشفة البخت موجودة فيه اليوم .

وكانت قد سألت « دون » بلهجة منكرة عندما زارت المكان للمرة الأولى .

— نورية تكشف البخت فى الاسكا ؟

واكتفت بأن ضحكت .

وأجابها بصوته المفرد بنبرة الفرح المجنون بعض الشىء ؛ التابع من انفعالات كلها جديد ، انفعالات عقوبة يطفح بها قلب رجل .

صحيح ، هذا هو الواقع ، هكذا فكرت ماريان وهى تجلس إلى مائدة غير مريحة وتطلب من المرأة العجوز التى تدير المحل كأسا من الشاى .

وتابعت تفكر : « أنه مغرم بهذه الأرض غراما جنونيا ؛ لا حدود له ؛ وأسوأ من ذلك أن طفلهما بوبى ، البالغ العاشرة من عمره ، مصاب بمثل داء أبيه » .

بدأ كل شىء بشكل غاية فى النفاهة ؛ فقد طلب إلى « دون » أعداد تحقيق صحفى عن الاسكا ، فأمرا إليها لفترة شهرين ، الفترة الكافية لجمع المعلومات اللازمة للتحقيق ، ولكن الشهرين مددا وعندما سألت دون عن ذلك أجابها بلا خجل أن التحقيق قد انتهى منذ فترة غير قصيرة .

وقال :

— لقد فكرت فى الأمر يا عزيزتى فوجدت أنها الفرصة الوحيدة لى لكى أكتب روايتى لدينا فى البنك ما يكفينا للعيش سنة كاملة ، وفى اعتقادى أن الوقت قد حان للشروع فى الكتابة . فما رأيك ؟

ماذا يمكن أن يكون رأيها ؟ فكثيرا ما ناقشت دون فى قضية « روايته » ، وكثيرا ما لجأ باحلامها إلى الوقت الذى يستطيع فيه أن يكف عن الركض وراء التحقيقات الصحافية والصراع اليومى من أجل كتابتها ؛ وهى ، فى خيالها ، كانت أبدا تحلم بجو أكثر رومنطيقية — فى الأكابولكو أو ربما فى الماجورك ، وليس فى هذه البلاد الصقيعة التى لا ترحم على أى حال ؛ والواقع أن هذه البلاد مجردة من كل جمال ، عاطلة عن كل فتنة فى نظر ماريان — أنها الصحراء والبرد وعواء الذئاب فى الليل البهيم .

وكان « البنغالو » الذى يسكنانه بعيدا عن العمران بعدا غير قليل .. وكان هذا حجة أخرى بجانب ماريان .

ـــ وماذا ترانا نفعل « بيوبى » ؟ لا بد له من الذهاب إلى المدرسة

ويجيب دون جدوى :

ـــ ثمة مدرسة فى خليج الدببة .

ـــ ولو يا دون أنها مدرسة ذات صف وحيد ؛ وهى بعيدة بحيث لا يستطيع الطفل الذهاب إليها على قدميه .

ـــ لن يؤثر عليه قضاء سنة فى هذه المدرسة ؛ أما لذهابه فإن بوسعنا شراء زحافة يجرها كلبان ، ولست أحسب أنه سيرى فى ذلك ما لا يرضيه .

بالطبع لا ! ولو انك طرحت هذه القضية على أى صبى فى العاشرة من عمره لوجدته سعيداً جداً لفكرة ذهابه إلى المدرسة راكبا كلبان !

ومنذ هذه الساعة وجدت ماريان حججها غارقة فى تضرعات ابنها الحارة واصرار زوجها الذى لا يقل حرارة ؛ ولما كانت تعبد « رجليها » عبادة فقد ألقت سلاحها ؛ أما بالنسبة إليهما ، إلى « الرجلين » فهى الحياة العظيمة ، حياة حافلة بنصب الفخاخ وصيد السمك والتخييم ـــ كل هذه النشاطات الرجولية القاسية التى حرمتها المدنية العصرية على معظم الرجال وأولادهم .

وحركت ماريان الشاى فى كأسها بالملعقة ؛ كانت سعيدة من أجلهما سعادة مخلصة ؛ ثم أن التجربة سوف تعرف نهايتها فى غضون ثلاثة أشهر .

وتحركت الستائر فى أقصى المحل وأطلت امرأة عجوز حدباء الظهر ذات بشرة ملوحة .

وصاحت ماريان :

ـــ آوه ؛ لو سيندرا ، لشد ما أنا سعيدة برؤيتك هنا .

انتهزى فرصة وجودى لتقولى لى شيئا ما .

هزت العجوز رأسها وشدت شفتها البنفسجية بحركة يمكن أن تكون ابتسامة ؛ وكانت ماريان منشغلة البال بقيمة ما نستطيع أقوال العجوز أن تحققها لها ؛ عندما كانت مقيمة فى وستشستر كانت تسخر من كل ما يقوله كاشفوا الغيب ، أما هنا .. وهزت رأسها تعبيرا عن نفاذ صبرها ، أن السائم هو الذى دفع بها إلى هذا الموقف ، ماذا بوسعها أن تبتكر للترويح عن نفسها تغامر بالخروج إلى الغابة ومطاردة الذئاب .

وخاطبت ماريان نفسها ساخرة من نفسها :

ـــ أنا « دون ريب » على استعداد نفسى لأقل أن لوسيندا هذه جديرة بأن تتنبأ لى بقدوم طائر فضى هائل يخطفنى من دنيا الجليد هذه وينقلنا على جناحيه إلى بلاد متحضرة .

وما أن فرغت ماريان من ارتشاف كأسها حتى نهضت وتوجهت إلى الزوية المظلمة حيث جلست لوسيندا وأمامها كرة زجاجية على بعض القذارة موضوعة على طاولة صغيرة .

وقالت فى نفسها :

- أهذه كرة من كريستال لا أصدق ، الأغلب أنها من بلاستيك . وعلى الرغم من شكوكها جلست بشىء من العصبية بجانب الطاولة وكان صبرها قد نفذ بانتظار ما يمكن لهذه المشعوذة أن تقوله لها .

ولكن لوسيندا ليست بالمرأة التى تؤخذ عنوة ، وراحت تتأمل الكرة الزجاجية طويلا جدا قبل أن تشرع بالحديث بلغتها الإنجليزية المفككة قائلة .

— أنه لأمر قاس ، أمر صعب جدا ..

وبحركة كلها تصميم تناولت ماريان حافظة نقودها ؛ فهى تعرف أن جميع الصعوبات تزول من أمام لوسيندا عندما تسمع رنين النقود على المائدة ، واستخرجت قطعة من ذات الخمسين سنتا وقذفت بها بالقرب من الكرة الزجاجية ، ولكن لوسيندا بدت . للمرة الأولى ؛ وكأنها لم تعر اهتماما للقطعة النقدية ، فقد ظلت محدقة بثبات فى الكرة وقالت :

— أرى شيئا عجيبا .. أنه كلب .. كلا بل هو ذئب ! أجل أنه ذئب هائل أغبر .. ورأى أشجارا وثلجا ، كثيرا من الثلج من كل جانب .

وأحست ماريان برهة عجيبة ، وعلقت بلهجة جافة :

— أجل . انك ما تزالين فى الإطار المعتاد ؛ وهذا شىء طبيعى !

كم كنت أفضل لو انك رأيت بعض أشجار النخيل فى مستقبل القريب ، وهذه الغابة أفعل أى شىء .

وتطلعت اليها البوهيمية بنظرة لا ثمة وقالت .

— السيدة ، تمزح السيدة لا تؤمن بمقدرة لوسيندا .

— أوه . ليست هذا أبدا . أنا أؤمن بمقدرتك ؛ أؤمن بها بكل قواى ..

قالتها ماريان بسرعة بينما أنحنت باللوم على نفسها سرا وتابعت .

— لا ينبغى لى أن أنفى المظهر العبقرى الوحيد فى هذه البلاد ، فهذا المظهر هو التسلية الوحيدة التى سأجدها خلال الأشهر الثلاثة المقبلة وعادت لوسيندا من جديد إلى التحديق بكرتها البلورية . وعلى وجهها ظهر تغيير غريب وبغتة التفتت إلى ماريان وقد لاحت على وجهها .. الشفقة ؟ أم الأسف ؟ وأحست ماريان بغصة فى حلقها وقالت وقد أحست على الرغم منها ببوارد الرعب :

— لماذا تنظرين هكذا ؟ قولى .. قولى لى ماذا ترين .

وبدت لوسيندا على اضطراب :

— ولكن كلا ، كلا .. ياسيدة .. لا شىء .. لا أرى شيئا .

— ماذا تعنين بقولك هذا ؟ لابد انك ترين شيئا ما ، أصر على معرفة هذا الشىء . تكلمى .

ووضعت ماريان على الطاولة رقعة من ذات الرولار وتابعت :

— صافى ر . هل تفهمين ؟

اشتد الضيق بلوسينها فقالت بتردد :

— من فضلك ياسيدة .. الواقع انى أرى ؛ بجانب هذا الذئب الأغبر ، معطفا واقعا فى الثلج ..

— أجل ياسيدة معطفاً أحمر ؟

فرددت ماريان تملقة :

— معطفا أحمر ..

وأحست بغتة ن مدلول هذه النبوءة ينحط عليها كأنه جبل من جليد فيخنق الصرخة التى أوشكت أن تفلتها حنجرتها .

ففى هذا الصباح بالذات ذهب دون وبونى لقضاء ثلاثة أيام فى التخييم . سيناميان تحت الخيمة .. وبونى يرتدى معطفا من النايلون الأحمر ..

ومن على راحت تحذج البوهيمية المنكومة على نفسها بخوف :

— كلا ؛ كلا ياسيدة ؛ أنا لم أقل هذا ؛ كل ما فى الأمر أن رأيت المعطف فى الثلج . لا أدرى كيف وصل إلى هناك انظرى ها قد أخذ الكريستال الآن يكمد ؛ لم يعد يقول لى شيئا .

— أنا واثقة من أنه يعـــود إلى الكلام لقاء خمسة دولارات أخرى . كان الخوف والغضب يصطرعان فى نفسها فبدت متعثرة بكلماتها .

— كلا ياسيدة . كلا . فعندما يكمد الكريستال لا يعود يتكلم أبدا . ملايين الدولارات تعجز عن حمله على الكلام مرة أخرى .

وانبجست دموع فاترة من عينى ماريان وقالت .

— أنت تهرفين بالكلام . أنت تكذبين .

وأسوأ ما فى الأمر أن ماريان لم تكن مصدقة ما تقوله هى نفسها فقد كان فى نظرات المشعوذة بريق جرحها من كل سلاح ودب الذعر فى صدرها .

واستدارت ماريان ، وانطلقت هاربة من المحـــل وهى ترتطم بالموائد ، واندفعت تعدو فى الشوارع المغطاة بالجليد حتى بلغت المكان حيث أوقفت سيارتها الجيب .

أن الذعر هو الذى يحركهـــا الآن دون أى مناقشة أو تمحيص ، وانطلقت الجيب تقفز متجاوزة القرية باتجاه « البنغالو » حيث يقيمون وتحمدت أصابع ماريان من الـــبرد على عجلة القيادة ، وكانت تردد لنفسها دون اقتناع أنها امرأة عصرية لا ينبغى لها أن تصدق ما تقوله بوهيمية مشعوذة أمام كرة زجاجية تغطيها القذارة ويجللها الغبار وقالت فى نفسها أن دون سيسخر منها عندما تبلغ مكانهما ذلك أنها أرادت مهما كلف الأمر أن تلحق بدون وبونى بأسرع ما يمكن .

وما كان لليوم الأول من رحلتهما أن يقودهما بعيدا جدا . هذا ما كانت تعرفه ، ولا بد أنهما سيقضيان الليل فى أحد أكواخ الصيادين

المهجورة ، وهى تعرف هذا الكوخ لأنها زارته عدة مرات ، ومع أنهما أخذا الزحافة والكلاب ، فقد كانت واثقة من أن بوسعها إدراكها قبل هبوط الظلام . قلقها الرئيسى كان منبعثا من عدم ثقتها بقدرتها على اقناع زوجها . سيهزأ بها ولن يوافق على العودة من حيث أتى . لا بأس ستوافقهما طوال الرحلة : ستراقب بوبى وتسهر عليه لئلا يبتعد عن المكان ولا يتأخر فى سيره وهى لم تصدق أبدا ما كان يقوله لها دون من أن الذئاب لا تهاجم الإنسان أن يثرها ، وأن مجرد تصورها أحد هذه الوحوش الكاسرة الغبراء يهاجم أبنها الغض الاهاب كان يبعث الجنون فى عقلها ، ولم يبد لها سوى حل واحد : ان تدركهما قبل أن يحل باحدهما أى مكروه .

وأوقفت الجيب أمام الينجالو واندفعت إلى الداخل . ليس أمامها وقت تضيعه فانتزعت أحذية الثلج والتطلق بأسرع ما تستطيع . ولما همت بتناول الحذاء المعلق بالجدار لمحت البندقية المدلاة هناك . ترددت لحظة ، لم تكن مهيأة نفسيا لحمل بندقية فضلا عن أنها ، فى الحقيقة ، لا تخشى أى شىء على نفسها ، أن الذى يلبس المعطف الاحمر هو وحده المهدد .. ومع ذلك فقد خطر لها أن دور سيغضب إذا علم أنها خاطرت باجتياز الغابة بلا سلاح ، وهكذا تناولت البندقية وحشتها . الشىء الوحيد الذى تعلمته فى الاسكا هو كيف تستخدم بندقية . صحيح أن هذا العلم لن يفيدها فى شىء عندما ترجع إلى البلاد المتحضرة ولكن دون هو الذى أصر عليها فى ذلك .

وصفقت وراءها باب الينجالو وانطلقت بأقصى سرعتها .

وأحست بدمائها تخفق فى حنجرتها . عليها أن تصل قبل المأساة .

من العسير عليها تحديد الوقت الذى أضاعت فيه الطريق ؛ ولكن عندما بدأ يتلون بلون الشمس الغاربة الفريد ، لم تستطع أن تنكر أنها قد تجاوزت الصخرة الضخمة التى كانت وجهة سيرها منذ ساعة طويلة ، وكذلك لم يكن بوسعها أن تنفى أنها زجت بنفسها فى الحلقة المفرغة المشهورة . لقد سارى عدة ساعات فى دائرة دون أن تدرى ؛ وهبط الليل ، وأدركها التعب ، وتهاوت عند قدمى الصخرة وأجهشت بالبكاء .

وبينما كانت تستعيد قواها غمرتها لا مبالاة عجيبة ؛ كيف أقدمت على الإنطلاق هكذا فى الغابة بلا بوصلة ، بلا ثقاب ، بلا أى شىء ؟ . حصبت أنها تعرف الطريق ، وها هو الليل يطبق عليها دون أن يكون بمكنها أشعار نار الأقل لتدفىء أعضاءها التى بدأت تتجمد ودفعتها فكرة قضائها الليل فى هذه العزلة المثلجة إلى التحرك ليس أمامها وقت تضيعه ، أن الشمس الغاربة تعطيها فى فترة قصيرة على الأقل ، الاتجاه الذى ينبغى لها اتباعه : وكان ذلك خير دليل لها . كانت واثقة من أنها لم تتجاوز كوخ الصيادين المهجور ، لا بد لها إذن من السير فى الاتجاه ، نحو الشمال ، ومن السهل بالتأكيد المحافظة على الاتجاه ما حصرت همها فى ذلك .

ومشت بحدودها أمل جديد . لكن التقدم كان شاقا ؛ فظلال لكن التقدم كان شاقا . فظلال الكآبة آخذه بالتكاثف ؛ الأشجار تزداد التحاما والأدغال تمزق ساقيها ، ولم تتوصل إلى التغلب على

تزداد التحاما والادغال تموق ساقيها ، ولم تتوصل إلى التغلب على ذعرها الا بعمل ارادى هائل

كان الهواء جامدا جمودا مثهرا ؛ ولا بد أن الصوت ينفذ إلى البعيد، لو أنها فقط استطاعت الاقتراب من الكوخ إذن لأطلقت رصاصة فى الهواء وسيسمعها دون أو فسحة بين الأشجار لتطلق النار ؛ ولكن قدمها علقت فى هذه اللحظة بجذر فى الأرض فتهاوت بثقل على الثلج .

— اوه ، يا إلهى .

قالتها وهى تحاول تناول البندقية التى سقطت منها على بعض المسافة.

وعادت تصرخ :

— اوه ؛ كلا ؛ كلا .

وسمعت صوتا ورائها فانتقل أصبعها بحركة لا إرادية إلى زناد البندقية ؛ والتفتت ، ولم يتـــح لها الوقت لتصده سلاحها فقد وثبت الذئبة الغبراء الهائلة عليها وقد برزت أظافرها المخيفة والتمعت أنيابها الحادة تحت وهج الشمس الغاربة .

طلعت شمس باردة فى صباح متلكىء ، وغمرت أشعتها الشاحبة شيئا منسيا على الثلج ، فى قلب الغابة كان هذا الشىء قطعة من ثياب ، قطعة حراء ، حمراء بالدم .

الـــرّعبُ

بينما كنت مستلقيا فى للغابة امتع نفسى بالقراء اقتربت منى فتاة صغيرة ، حسنة المنظر والملبس وقالت :

— عفوك يا سيدى ، أن هنا لك ؛ تحت الشجرة ، رجـــلا يزعج سيدة .

— وما شأنك أنت أو شأنى بذلك ؛ أذهبى إلى البيت ودعينى وحـــدى .

إلا أن الفتاة لم تبتعد ولم تعر جوابى أى اهتمام ، وبقيت تحدق بى باصرار ثم قالت :

— كيف يكون شعورك لو أن أحدا غرز سكينا فى جسدك ؟

فقفزت واقفا وألقيت بالكتاب جانبا وقلت :

— ولماذا لم تذكرى ذلك منذ البداية ، أين هى هذه الشجرة التى تتحدثين عنها ؟

فانطلقت كالسهم وانطلقت فى أثرها . وما أن بلغنا الشجرة حتى توقفت كالمذعور ؛ فقد كانت المرأة هناك بالفعل ملقاة على الأرض

ورأسها مسند إلى جذع الشجرة وقد غرزت السكين فى صدرها ، أنها امرأة شابة جميلة لم تتجاوز العشرين من عمرها .

وبعد لحظات التفت حولى فلم أجد الفتاة أثرا فأدركت ما أنا بيه من حراجة الموقف لأن هذه الفتاة الصغيرة هى كل ما لدى من إثبات على براءتى .

وبحثت عنها فى كل مكان فلم أجدها عندئذ فكرت بالإنسحاب من المكان بأسرع ما يمكن قبل أن يرانى أحد إلى جانب الجثة إلا أن حظى العاثر أوحى إلى بأن أتوجه إلى الشرطى الواقف قريبا من هناك معرضا نفسى للاستجواب وربما للاتهام .

قلت لشرطى :

ـــ أيها الضابط انى أريد أن أبلغ عن جريمة قتل .

فلاحظت أن الرجل اضطرب بشكل ملحوظ حتى لكأن دماءه هبطت كلها إلى قدميه ، وتقدمته إلى حيث توجد الجثة .

وبالطبع انتقلت من مسؤول أعلى مرتبة لأدلى بما أعلمه بشأن الجريمة .، وانتهى بى المطاف إلى مصاف التهمة بنفسى ، فقد كان دليلى الوحيد فتاة صغيرة أجهل حتى اسمها ، قال المفتش :

ـــ لا تهتم للأمر فاذا كانت هذه الفتاة موجودة بالفعل فانه لابد لنا من أن نجدها .

وبدأنا جولة تفتيش دقيق فى المدارس استمرت يومين كاملين .

وأخيرا دخلنا مدرسة ، أو ميتما حيث وجدت ضالتى المنشودة .

تحدث الشرطى الذى يرافقنى بلطف متناه كيلا يمس شعور هذه الزهرات اليانعات ، طالبا منهن فيما إذا كن يعرفنى ، فارتفعت أيد عديدة صرحت صاحباتها أنهن رأيتنى فى الغابة ذلك اليوم المشؤوم الذى قتلت فيه الفتاة .

إلا أن اليد التى كنت أريد أن أراها ترتفع بقيت حيث هى . وبناء على طلبى سألها الشرطى عما إذا كانت قد رأتنى فى الماضى فأنكرت باصرار ، وشهدت إحدى التلميذات بانها لم تراها يوم الحادث معهن فى الغابة ، وأكدت مديرة المدرسة أن روبى ، وهى فتاتى التى أبحث عنها ، مثال للصدق والأخلاق الحميدة .

هذا ما حدث ولم يكن بيدى حيلة لمنع حدوثه .

وبعد أخذ ورد اطلق سراحى لأنه لم يكن بالإمكان إيجاد أية علاقة بينى وبين الفتاة القتيل .

ولم تستطيع الشرطة العثور على القاتل ، فلم يكن للضحية أصدقاء معروفون ، وكانت أداة الجريمة سكينا عاديا يحملها أى كشاف ، ولم تظهر عليها أية بصمات كما أن الأوراق اليابسة التى تغطى الأرض لم تكن لتسمح بظهور أى أثر للأقدام .

وبالرغم من اطلاق سراحى فقد فقدت عملى وأصدقائى وعلاقاتى ،

ولم تعد هنـــاك أية فتاة ترهب برفقتى ؛ أما الشرطة فكانت تراقبنى بصورة متواصلة .

وانقضت ثلاثة أشهر على هذه الحال ثم توقفت مراقبة الشرطة وبدأت أعود تدريجيا إلى حريتى آمـــلا بأن يمحو الزمن ما علق بى من ذلك الحادث المؤسف .

وعندئذ بدأت أراقب مدرسة أو مينا ؛ وفى ذات يوم رأيت فتاتى تخرج من المدرسة ثم تنفصل عن رفيقاتها الآخريات وتسير منفردة فأقتربت منها وقدمت لها كيسا فيه قطع من الحلوى وقلت :

ـــ أى روبى ؛ خذى قطعة :

فعرفتنى لتوها وقالت :

ـــ لقد أوصتنى أمى بألا آخذ الحلوى من الغرباء .

ولـكننى لست غريبا ، أنا هو الرجل الذى ورطته بتلك المشكلة ، إلا تذكرين .

ـــ اذكر جيدا ؛ ولـكن يجب أن لا تلومنى على ذلك .

ـــ ولماذا ؟

ـــ لاننى لم أرغب بأن أتدخل فى هذا الأمر .

ـــ إذن لابد أنك رأيت القاتل ؛ أليس كذلك ؟

ـــ لا تزعجنى ؛ لقد رأيته دون شك ، لقد رأيت ظهره .

ـــ أتقصدين أنك لم ترى وجهه وأنك لا تستطيعين التعرف إليه ؟

ـــ بل اننى أستطيع لو أردت ، أنه يرتدى بزة زرقاء .

ـــ إذن لماذا لا تفعلين ؟

ـــ ليس هذا من عملى .

فقدرت أنه لا بد من تحديها للغوه بما تعلم فقلت :

ـــ لا شك بانك لا تعرفين شيئا وانك تكذبين .

ـــ بل أنا أعرف كل شىء .

ـــ انك تكذبين ، فأما انك لم ترى الرجل قط أو انك عاجزة عن تمييزه عن أى رجل اخر .

ـــ قلت لك أنه يرتدى بزة زرقاء .

ـــ حسنا وأين تراه يقيم ؟

ـــ لا أعلم أين يقيم ولـكننى أعلم الآن أين يوجد .

ـــ كذابة .

ـــ كلا ..

ـــ بلى ..

ـــ وهل تصدقنى إذا قدتك إلى حيث يوجد ؟

ـــ بل تأكيد .

— إذن قل معى ..

— وماذا سأقول؟

عندئذ ضمت أصبعيها معا وفعلت كما فعلت وقلت بعدها :

— أن أصبعى جافة ، ولتقطع عنقى إذا كنت أكذب .

وطلبت منى أن أتبعها فقلت ؛ وأخذت تجرى فى الشوارع المزدحمة وأنا من ورائها كالمجنون غير ابه بما قد يقوله الناس ، وتوقفت أخيرا فى ملتقى شارعين من شوارع المدينة الرئيسية وأشارت بأصبعها قائلة :

— ها هو ذا أنه هناك .

وقفت مدهوشا أحدق فيه بزته الزرقاء وكفوفه البيضاء وهو يدير حركة السير ؛ أنه الشرطى الذى أبلغته الجريمة ، أنه هو بعينه .

وبعد وقت غير قصير التفت إلى روبى فاذا بها قد اختفت كما فعلت فى المرة الأولى .

وعدت إدراجى ببطء اسائل نفسى عن مقدار الشحة فى روايتها ؛ هل تراها القت التهمة على الشرطى لعلمها بأنه بعيد عن الشبها أنها فعلا راته يقوم بالجريمة ؟

وتذكرت كيف امتقع لون الشرطى عندما أعلمته عن الجريمة وأخذت الشكوك تساورنى . ولكن حتى وأن كانت شكوكى وتهم روبى فى مكانها فاذا يفيدنى ذلك ؟ انى أتصور كيف سأستقبل فى مقر

الشرطة إذا تقدمت بنظرتى هذه الجديدة .

وأحسست بحاجة لتناول كأس من المنعشات فدفعت باب أحد المقاهى الصغيرة الضيقة ودخلت وما كنت أجلس حتى لمحت شيئا صعقنى : أنها روبى ذاتها ؛ تجلس إلى منضدة البار وقد أدارت ووجها إلى خادم البار الأسمر الوسيم كالأفعى .

وحسبت أن الرجل قد فرغ لتوه من إعداد بعض السندويتش ويزال ممسكا بالسكين الحادة فى يده وهو دائب ؛ دون انتباه ؛ على تقليب حدها القاطع على أحد أصابع يده بينما علقت عيناه بفتاتين تجلسان على مقربة منه .

حرك بارت فرانزورث مفتاح الموقد فى غرفة النوم ؛ وشتم دون غضب فهو يعرف أنه إذا كان الموقد القديم لا يعمل بصورة جيدة فالذنب ذنبه هو . ثم ما فائدة أن ينفق مالا لإجراء إصلاحات فى منزل هو على وشك تركه .

لقد قال له عامل المدافىء : « هذا الجهاز العتيق سوف يحرقك ذات يوم اللهم أن لم تقبل باتفاق الفين ؛ وربما ثلاثة الاف دولار ، على إصلاح جميع التمديدات له » . ومن العجيب أن هذه الملاحظة البسيطة دفعت بارت إلى العمل بسرعة ؛ وكذلك أيضا ما قالته جين : « تسألنى لماذا أريد الطلاق من شيت ؟ ربما لأنه لم يشتر لى معطفا فيزون . ولكن إذا كنت أتوقع منك أن تساب أحد البنوك لتشترى لى مثل هذا المعطف فقد لا البسه حتى يشتعل رأسى شيبا » .

هاتان الملاحظتان هما اللتان دفعتاه ، لسنة خلت ، إلى العمل ، فما أن غادر العمل بيته بعد ظهر ذلك اليوم من أيام الخريف حتى أخذ بارت يجرب موهبته فى أوراق البنك ، وهاهى الحزمة الصغيرة من الأوراق تحترق بفرح فى النار ، وابتسم بارت وهو ينظر إلى أدلة إدانته طعمة لنيران .

ولقد كان الأمر سهلا جدا لأنه وضع الشرف نصب عينيه وهو يعالج كل جزئيه من الأمر ؛ ففى الوقت الذى كان يسحب فيه رصيده من البنك ليوظفه فى مكان اخر ، عمل على أن ينتخب أمين صندوق فى البلدية ؛ وبهذه الطريقة أصبح قادرا لا على ساب مارتسورت فقط بل أيضا صندوق بلدية باتيوه فيلاج أيضا ولقد حققت هاتين الغايتين بنجاح لامع .

ولن يستكشف الإختلاس قبل وصول مراقب حسابات الولايات الأمر الذى لا يتم قبل خمسة أسابيع ؛ وكذلك بالنسبة لإختلاسه الثانى ، ولكى تبعد عنه الشبهات ويتجنب أى نقد مكشوف بنية سيئة فقد عارض ؛ بنجاح ، فكرة إقامة مستودع مياه للمدينة كان قد تقرر إنشاؤه فى الصيف الماضى .. وقد مانع أيضا فى دفع مبلغ الإعانة الكلية فى المدينة لكى يبقى جميع الأموال فى صندوق البلدية — أى محوزته هو وحده .

وكان ماك دونو هو رئيس فريق الإطفاء قد قال :

— لا يمكن تشغيل جهاز فعال لمكافحة الحريق بواسطة «ستيرن» له مضخة على كيبون ، تصوروا أنه سيصبح لزاما علينا ملء هذا الستيرن بواسطة الضخ باليد فى أثناء مكافحة الحريق ؛ الأمر الذى قد يستدعى تكرار ذلك مرارا لإطفاء حريق واحد .

وعلق بات سميث : هذا أمر طيب بالنسبة اليك يا بارت ، فلديك

مستودع ماء خلف بيتك ولكن ليس له تمديدات ولا فوهات حريق، وسيكون ممتعا لنا نحن أيضا أن نقوم بنقل الماء بالسطول .

ومع ذلك فعندما انتقلوا إلى التصويت بعد ذلك حالا على زيادة الضرائب أو تأجيل المشروع ، فاز بارت ،وهكذا قضى على مشروع المياه بالانتظار وظلت الرسوم البلدية على حالها .. له وحده .

وهكذا أيضا أصبح بوسع بارت فرانزورث أن من باتيور فيلاج أيصبح فى مكان اخر الثرى مار كن كريج الذى يعيش مع زوجته الشقراء الفاتنة .

وابتسم وهو ينظر إلى ساعته : الخامسة والربع ، السبت بعد الظهر .. وفى الساعة الخامسة والنصف سوف تجتاز باب بينها بعد أن تكون قد تركزت كلمة لشيت تقول فيها أنها تلقت نداء عاجلا من اختها مارج تقول أن أولادها مرضى وأنها تطلب مساعدتها فى عطلة الاسبوع؛ وأتى الحظ فلن يشك شيت بأى شىء حتى يوم الاحد مساء ، وحتى هذا الوقت يكون بارت وجين قد غادروا البلاد ، لقد حسبت حساب كل شىء .. وقت حاجيه قليلا عندما رأى جين تغلق البـــاب خلفها وتجتاز الحديقة . وهو يبدو عصبيا بلا مبرر .

ونهض ووقف قليلا قبل الباب ورجع نحو خزانة صغيرة أخرج منها مسدسا قبل أن يغادر غرفة النوم . وكان يهبط السلالم عندما أطلت هى من الباب الخلفى . وقادته : بارت ؟

كانت شمس الأصيل تلقى أشعتها الذهبية على شعرها فتزيدة توهجا.

ـ جئت قبل الوقت يا حبيبتى .

ـ تحدثت لشيت فأنا أعلم أنه سوف يتصل بمارج أنا اكتفيت بترك رسالة له فقط : بحق الله .. لقد قلت لك ..

ـ ليس لدينا وقت للمناقشة .. لقد أصر على الحضور لأصطحابى من المنزل والذهاب إلى هناك .

ـ كان ينبغى لك منعه من ذلك .

ـ علينا أن نذهب فى الحال فقد تركت له ورقة تقول أن زوج مارج جاء وصحبنى .

ـ اوه .. كم باستطاعتك أن تكونى غبية .

ـ لا تغضب على أرجوك ، لشد ما خائفة يا بارت .

وطمأنها محاولا أن يزيل وساوسها بسرعة ، ثم بهدوء أعظـــم . فالإنتظار كان طويلا بحيث لا يحتمل ، وكل شىء صار دانيا . وقبل أن ينتهى من كلامه سمع من يلفظ اسمه : بارت .. فرانزورث ..

وكان الصوت هو صوت شيت الذى جاء قويا وكله انفعال .

ـ بارت ، لقد وصل ..

ـ اسكتى ، فهو لا يمكن أن يكون على أطلاع .

ـ أخشى أن يحدس بذلك ، فقد كان يشك .

— أبقى هنا . سأهتم بأمره .

وراح يفكر ببرود حتى عندما سمع شيت يصدم الباب بعنف ويندفع إلى الصالون ثم يخرج منه لينادى باتجاه السلم :

بارت ..

وتقدم بارت من أعماق المنزل نحو المدخل العريض وأجاب :

— نعم يا شيت ..

واستدار هذا وكان وجهه متغيرا حتى قبل أن يرى المدى؛ وبدت ومضه ولم يحدث أى شىء غير التواء جسمه وسقوطه تحت الطلقة .

والتقط بارت معطفه عن المشجب عرف به الرجل قبل أن يلطخ دمه السجادة ؛ وراح عقله يعمل بسرعة ، وقال :

— جين أصعدى إلى السيارة ، سأهتم بهذا .

فهو أن تمكن من التخلص من جثة شيت فستمر أسابيع قبل أن يكتشف اختفاء جين ؛ ولكن أين يخفى الجثة ؟ بالطبع لن يتركها فى المنزل ، فعندما يكتشفون اختفاءه سوف يقصدون منزله للتفتيش وسيعثرون على الجثة ؛ إذن أين ؟ مستودع الماء طبعا فليس من يهتم بالطبع بمستودع مهجور ، أنه حظ حسن ، والماء فى هذا المستودع قذر ومغطى بالأوراق الميتة ، دون جهد واضح حمل جثة شيت حتى الباب الخلفى ؛ فلن يراه أحد تحت الأشجار ، وكان ثمة مقعدان بالقرب من المستودع ؛ ووضع شيت على أحدهما وشده إليه برتاو المعطف شدا محكما ثم رفع الإثنين بقوة وطوح بالمقعد والجثة المربوطة به

فى المستودع فغرق فيه حالا ؛ بعد قليل أخذت الأوراق الميتة تجمع على سطح المياة ؛ فقد تمضى شهور وربما سنوات قبل أن يكشف المستودع عن سره الدفين بسبب استمرار تغذيته بمياه الأمطار والثلوج .

وأبدى بارت ارتياحه : أنه النجاح الكامل تقريبا .

وعاد إلى المنزل عدوا وأغلق خلفه جميع الأبواب ، أما الباب الذى يصل المنزل بالكاراج فهو ينغلق آليا ؛ وصفقه وراءه ثم صعد إلى سيارته المكشوفة وخرج من الكراج ، وكانت المرأة الجالسة بقربه صلعته ، مرتعشة ولكن بلا دموع ؛ وبدأ له وجهها على مثل شحوب شعرها ، فها قد وقعت فى الفخ الآن وان نستطيع أبدا الإفلات منه بعد اليوم .

أوه . كان هذا حظا رائعا أيضا .

وأوقفت السيارة وعاد على أعقابه لانزال باب الكراج . وقال فى نفسه : هدىء أعصابك ؛ ليس ثمة أى داع للعجلة ؛ فأمامك ساعتان للوصول إلى شيكاجو وركوب الطائرة وهذا وقت كاف ؛ وعاد إلى السيارة وبدأ يسير بها إلى الوراء ليدور حول المنزل ، وبينما هو يقوم بهذه الحركة صدم سيارة الإطفائية التى كانت تسير فى الوجهة المعاكسة وقفز من سيارته المكشوفة فى اللحظة التى خرج فيها مالك ودنو هو كما قفز عدد من الإطفائيين من السيارة — المضخة .

— ماذا تفعلون ، ابتعدوا ؛ عندى موعد مع الطائرة .

كان وكأنه يصرخ فى واد فان أحدا لا يصغى إليه ولا يتحرك .

واندفع رجلان بلباس الاطفائيين نحو البيت وهما يحملان

خرطوم أطفاء .. وكان رجلان آخران قد وصلا إلى مستودع الماء يحملان خرطوما لتغذية السيارة المصخة .

— ألم تسمعونى ؛ لقد طلبت اليكم الانصراف من هنا .

وطغت ضجة السيارة — المضخة التى شغلت حركها على صوته ، وراح يتطلع حواليه ؛ كان الطريق مسدودا فى وجهه إلا باتجاه الكراج أو الكمبيون .

— ماك .. بيت .. أصغى إلى .

— لا تغضب يا بارت .

وقال له سميث الذى برز من زاوية الكمبيون .

— سوف نهذل جدنا ؛ أنت ذو طبع عجيب يا صاحبى ؛ تصور أن شيت رأى السنة النار تتدلع من منزله لا بد أن نار الموقد قد التهمة البيت .

— شيت ؟

— لقد أنذرك اليس كذلك ؟ اتصل بنا تليفونيا وقال أنه سوف ينطلق إلى بيتك لينبهك إذا ما كنت نائما .

— شيت ، شيت جاء لأنه رأى النار ؟

— هيا ؛ سيطر على أعصابك ، أعرف أو هذا المكان عزيز عليك ولكن أقول لك أن حظك كبير . سوف تتمكن من إنقاذه إذا وجدنا الماء الكافى فى المستودع .

وأحس بارت بالرعشة تبدأ بأطراف أصابعه ثم يمشى فى يديه فذراعيه فتهبط فى جسده حتى تشمله كله فيروح يرتقص من رأسه حتى أخمص قدميه كما لو كان يفعل ذلك على إيقاع محرك المضخة .

رن جرس التليفون ورفع لارى بريستون السماعة .

هالو ، عزيزى لارى ، أنا جانيس لقد أيقظتك دون شك وانى لجد آسفة لذلك ، إلا أننى مضطرة ، فقد كدت أفقد عقلى .

— لا عليك ؛ أعلينى ماذا حدث .

— أوه يا لارى ، أنه الأمر فظيع ؛ لقد جاء إلى شقتى هذه الليلة وهو كالثمل حتى الموت ، وأخذ يضربنى .

واختلط صوتها بالنحيب .

— ولكن كيف عرف عنوانك الجديد .

— لقد سأل عنه فى مكان عملى أنه يرفض الطلاق .

ماذا عسانا نفعل ؟ كم أتمنى لو كنت بقربى الآن يا حبيبى ، متى ستأتى ثانية ؟

— قريبا ؛ بمجرد إنهاء الفيلم ، شهر واحد فقط .

— أن هذا لكثير ، عنى آتى اليك ، سأمشى . سأطير . سأفعل أى شىء لكى نلتقى ثانية . احتاج إلى هذا اللقاء لم أعد أستطيع الصبر ،

— أنك تعلمين أن هذا مستحيل فاننى فى هذه الظروف بالذات لا أستطع أن أتعرض لأى نوع من التشهير .

— أعلم ذلك يا حبيبى فانك مثل ممتاز تستحق كل نجاح ولن أفعل أى شىء يؤذى مستقبلك .

— أين هو الآن ؟

أنقصد زوجى أنه ملقى على الأرض ولا أدرى ماذا سيحدث عندما سيعود إلى وعيه .

— أتحبينى يا جانيس ؟

— أوه ، أنت تعلم إننى لا أستطيع الحياة بدونك .

— إذن أسمعى جيدا ما سأقول ؛ انى أخشى أن يتحول زوجك إلى انسان مزعج ، وتعلمين أن مستقبلى كله فى الميزان .

— ماذا تحاول أن تقول ؟

— أقصد أننى لا أحب العيش فى الظلام ، فعلينا أن نتصرف الآن فارتفع نحيبها ثانية وقالت :

— اننى لا أحب لهجتك هذه يا عزيزى ، قل لى ما على أفعل ؛ اننى لضائعة ، سأفعل كل ما تطلب منى عمله .

— لا بد من قتله .

— اننى لم أفهم .

— بل أنك تفهمين تماما ، آن لك أن تختارى بينى وبينه .

— هل أنت مجنون يا لارى ؟ ولكن كيف ؟ ماذا على أن أفعل

— أنه مستلق على الأرض بقربك ؛ ولم يره أحد يدخل المنزل

فمن تراه سيعلم ؟

ولكن كيف ؟

— أتذكرين المخدة الكبيرة ؛ تلك التى قدمتها لك عندما كنت أمثل فيلم « الاتلانتيك » ؟ خذى المخدة وضعيها على وجهه واضغطى بكل قوتك لمدة خمس دقائق ، وينتهى كل شىء .

— أرجوك يا لارى .

وساد الصمت برهة طويلة .

— لارى . اننى أقصد ما قلت يا جانيس أنك تريدينه ميتا منذ زمن طويل ؛ وها هى فرصتك الوحيدة الآن ؛ لقد كان ظلا قاتما على جميع لحظاتنا السعيدة .

ولكنه انسان حى : أنه زوجى .

— أنه شىء مزعج ؛ هذا كل شىء عليك أن تستغلى الظرف الآن. فالفرصة سانحة .

وساد الصمت من جديد .

— لارى ؛ أجوك لا تقطع المخابرة اننى سأقتل نفسى إذا ما فقدتك .

إذن أفعلى ما قلته لك .

— أجل سوف أفعل فقط أنا خائفة ؛ اننى بحاجة اليك .

— قريبا . قريبا جدا ، خذى المخدة يا حبيبتى وخاطرنا منه مرة واحدة وإلى الأبد .

— أنها بيدى ؛ اننى أحبك ، قل أنك تحبنى .

— أحبك ؛ تصورى فقط اننى إلى جانبك .

— أجل ؛ أجل ؛ أنك معى .

— هيا يا حبيبتى ، اننى منتظرك .

— لارى ..

كفى عن الكلام ، هيا إلى العمل .

— يا إلهى اننى خائفة .

— من أجلى يا حبيبتى ؛ من أجلنا معا ؛ اننى أحبك .

— سأفعل ذلك الآن ، انتظرنى يا حبيبى .

سمعها تضع سماعة التليفون جانبا ثم ساد السكون ؛ فاشعل لارى سيجارة أخرى واستمر فى الانتظار .

ومرت دقائق طويلة ثم عاد صوت جانيس يقول ؛ وكأنه منبعث من عالم الاموات :

— لقد فعلت ذلك ؛ لقد مات ، لقد قتلته ؛ تماما كما طلبت منى .

إذن خذى وشاحا من على سريرك وغطيه به جيدا .

ومن ثم ؟ .

— تأكدى بأن الشارع خال تماما ؛ قود السيارة إلى محاذاة الباب ؛ ثم انقليه إليها .

— اننى خائفة يا لارى . أحبك يا لارى .

— وأنا اعتمد عليك وأحبك يا جانيس ، فهلا بدأت .

— أجل ولكن قل لى ؛ هل ستعود إلى بعد شهر ولن تتركنى أبدا ؟ وستتزوج ؟

— تماما يا حبيبى ، بكل تأكيد ؛ ولكن عليك الآن أن تتدبرى أمر الجثة .

— أجل .

— بعد أن تضعيه فى السيارة قوديها إلى النهر الشرقى ، إلى الجسر الذى كنا نلتقى عليه قرب الشارع السادس عشر .

— اننى أذكره جيدا ، هناك لافيتنى لأول مرة .

— أنه هو ، تأكدى بأن المكان خال والقى بالجثة من فوق الجسر ثم عودى بالسيارة وأوقفيها على مسافة من المنزل وتابعى طريقك سيرا على الأقدام ؛ البسى قفازات كيلا تتركى بصمات أصابعك على المقود

— سأفعل ذلك ياحبيبتى .

— هيا إذن .

— هل ستكرهنى لما فعلت .

— على العكس فأنا أحبك .

تصبح على خير يا حبيبى .. وأنت أيضا .

كان الليل بارداً ساكنا ، وكان الظلام يسود الغرفة ، فتناول لارى السيجارة الأخيرة من علبة السجائر وأشعلها وأخذ يدخن بهدوء .

وبعد دقيقة عاد إلى جهاز التليفون وطلب شرطة لوس أنجيلوس وقال :

ان اسمى هو لارى برستون . أنا ممثل وأسكن فى شارع نورث بيرفا ، لقد وصلتنى مخابرة من نيويورك منذ حوالى عشر دقائق من فتاة أحد أصدقائى ، لقد كانت تتكلم بطريقة هستيرية حتى انى لا أشك بما قالته ، ولقد أعلمتنى بأنها قتلت زوجها وأنها ستنقل جثته إلى النهر الشرقى قرب الشارع رقم ١٦ ، وأظن أن شرطة نيويورك يجب أن تهتم للحادث .

وقدم بعد ذلك وصفا للسيارة وأعطى اسم جانيس واسم زوجها وعنوانها فشكره الشرطى مؤكدا بأنه سيتصل فورا بشرطة نيويورك .

تنفس لارى الصعداء وعاد إلى سريره فى غرفة النوم حيث كانت تستلقى الفتاة السمراء ، زميلته فى الفيلم الجديد ، والتى يرشحها النقاد لمستقبل زاهر فى عالم السينما .

هذه المجموعة

* ثلاثة عشر قصة مختارة من قصص الجريمة العامضة لبافة من عظماء كتاب العالم الذين تخصصوا فى كتابة قصص العنف والجـــريمه .

والفريد هيتشكوك ..

* إنه أول من أهتم بدراسة هذا النوع من القصص وقد قدمها إلى التليفزيون العالمى فلاقت نجاحاً ساحقاً وأصبح المشاهد يتابع مشاهدتها بشغف ومتعة ..

* وهذا الكتاب ..

إنه يحتوى على أقوى القصص الرائعة المختارة التى تمتاز بأسلوب هيتشكوك المعروف من إثارة وتشويق وحبس أنفاس وتحليل نفسى رائع .

* أغرب الحوادث الواقعية التى تفوق الخيال .